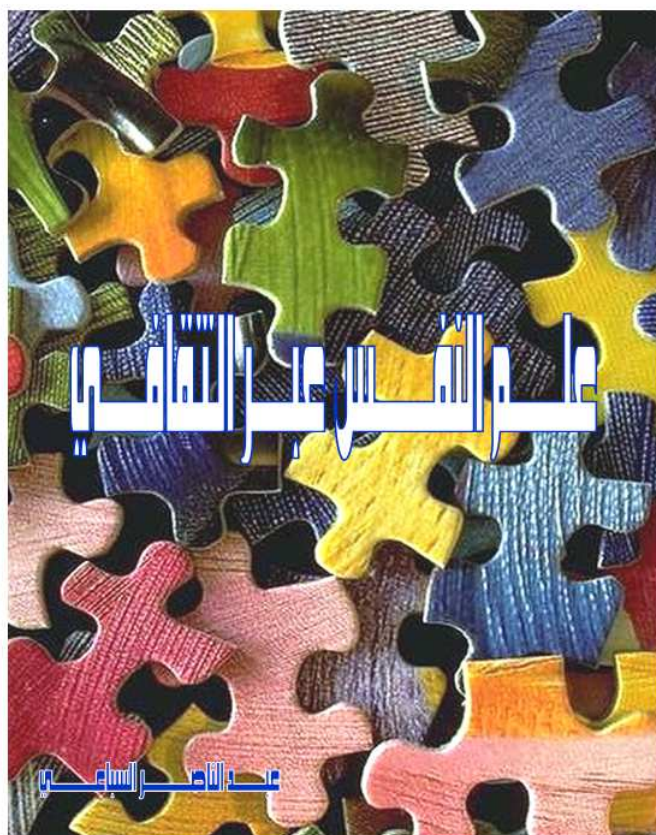


سلسلة الإصدارات المكتبية المحكمة لـ "شمن"

الإصدار السابع والعشرون



عدد 27 - 2013



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

علم النفس الجبري

عبد الناصر السباعي

الفهرس

6	مقدمة
16	الباب الأول: الوضع الحالي للبحث عبر الثقافي في علم النفس
17	الفصل الأول: نظرة تاريخية على البحث عبر الثقافي وعوامل تطوره
17	أولاً: نبذة تاريخية
18	أ- المرحلة الأولى
20	ب- المرحلة الثانية
22	ج- المرحلة الثالثة
26	ثانياً: عوامل تطور البحث عبر الثقافي
26	أ- تأثير نمو علم النفس في تطور البحث عبر الثقافي
17	ب- تأثير العلاقات الدولية في البحث عبر الثقافي
34	الفصل الثاني: إشكالات التعريف في مفهومي «الثقافة» و«عبر الثقافي»
34	مدخل
36	أولاً: إشكالات تعريف الثقافة
40	ثانياً: ماذا نعني بـ «عبر الثقافي»؟
45	خلاصة .
48	الفصل الثالث: تطور مناظير البحث عبر الثقافي
48	مدخل
49	أولاً: المنظور المتمركز حول العرق .
56	ثانياً: المنظور الإسقاطي المتمركز حول الثقافة .
60	أ. المعالجة من الخارج
60	1- البحث عن القوانين العامة
61	١- البحث عن القوانين العامة من موقف وثوقي
61	- التطبيق الآلي للنظريات الغربية
62	- الإعادة الحرفية للأبحاث الغربية .
64	٢- البحث عن القوانين العامة من موقف متحفظ
65	نموذج الدراسات عبر الثقافية البياجية
69	2- دراسة الفروق بين الثقافات من الخارج .

75	ب- المعالجة من الداخل .
76	1- الخطوة الأولى: الدراسة من الداخل
79	2- الخطوة الثانية: الدراسة المقارنة
79	ثالثا: منظور الاعتراف المتبادل بين الثقافات
86	مناقشة عامة
98	الباب الثاني: معالم رؤية جديدة للثقافة وعلم النفس عبر الثقافي
99	الفصل الرابع: مقترحات جديدة لتعريف الثقافة
99	مدخل .
101	أولا: تصورنا عن الثقافة
101	آ- مقدمات عامة .
102	ب- مكونات الثقافة .
103	1- المكونات التصورية .
105	2- المكونات الملاحظة .
111	ثانيا: تحليل ثقافي لعلم النفس .
114	آ- التصور الضمني للإنسان في علم النفس
114	1- التصور الثنائي الأول .
115	2- التصور الثنائي الثاني .
116	3- التصور المادي للإنسان
117	١- الفلسفة الوضعية عند كونت .
119	٢- نظرية التطور عند داروين
123	4- التصور الإنسي
124	ب- انعكاسات تصور الإنسان على البحث النفسي
125	1- تأثير تصور الإنسان في مناهج البحث
126	تأثير الاختبارات النفسية بتصور الإنسان
129	2- تأثير تصور الإنسان في مواضيع الدراسات النفسية
130	موضوع الدوافع في علاقته بتصور الإنسان
132	خلاصة
137	الفصل الخامس: مشروع صياغة جديدة لعلم النفس عبر الثقافي
137	أولا: صيغة تعريفنا
138	آ- ماذا نقصد بالمناطق الثقافية؟
138	ب- من يقوم بالبحث عبر الثقافي؟
144	ثانيا: أهداف علم النفس عبر الثقافي
144	آ- إغناء المعرفة النفسية .

151	ب- حل بعض مشاكل علم النفس .
152	1- مشكلة علمية علم النفس
153	تصور العلم في الثقافة الغربية
154	١- الدين والعلم .
155	٢- العلم والفلسفة .
158	2- مشكلة الظواهر النفسية-الثقافية .
160	ج- تسهيل نقل المعرفة النفسية إلى البلدان غير الغربية
163	1- مقترحات بشأن نقل علم النفس إلى العالم الثالث .
168	2- «علم النفس المحلي» .
171	3- وجهة نظرنا حول الموضوع .
172	خلاصة
178	المراجع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوُكُوفُ عَلَى ذَلِكَ
لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (22)

سورة الروم - الآية 22

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَكَأَنزِلُونُ مُخْتَلِفِينَ (118) إِنَّا مِنْ رَحِمَةٍ
رَبِّكَ وَلَكَدَّكَ خَلَقَهُمْ

سورة هود - الآيات 118-119

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّا أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَفَاكُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)

سورة الحجرات - الآية 13

صدق الله العلي العظيم

مقدمة

إن العلوم الإنسانية المعاصرة -كما نتناولها وندرسها داخل جامعاتنا ومعاهدنا، وكما نطبق نتائجها في مختلف نواحي حياتنا- جزء من المعرفة التي أنتجتها الثقافة الغربية، ولا تزال حتى الآن تنمو وتتطور أساساً في المنطقة الغربية بحيث لا نكاد نلمس أثراً للثقافات الإنسانية الأخرى في أي من مدارسها وتياراتها على وفرتها وتنوعها. ونظرة سريعة على نظريات علم الاجتماع ومدارس علم النفس وفلسفات التاريخ واتجاهات الإناسة والعراقلة¹ كافية لتبين هيمنة الباحثين الغربيين على هذه الميادين وغيرها بشكل مطلق منذ عدة قرون. غير أن الباحثين الغربيين حرصوا على ترسيخ أطروحة استقلال هذه العلوم عن أية ثقافة أو فلسفة، وقدموا نتائجها دائماً على أنها قوانين "علمية" صالحة للتعميم والتطبيق على جميع أفراد الجنس البشري دون مراعاة الاختلافات الموجودة بين المجتمعات الإنسانية من حيث ثقافتها ومنظوماتها الفكرية والعقدية. وقد ساعدت هذه الصورة على تقبل العلوم الإنسانية داخل المجتمعات غير الغربية على أنها علوم طبيعية مثل الرياضيات والفلك والفيزياء، وأصبحت كل محاولة لتعرية الروابط والعلاقات الموجودة بين العلوم الإنسانية وبين الثقافة الغربية تواجه بالسخرية والاستخفاف.

وقد زاد من صعوبة تبين العلاقة الموجودة بين العلوم الإنسانية والثقافة الغربية غموض مصطلح "الثقافة" نفسه. فعلى الرغم من شيوعه وانتشاره على أوسع نطاق، لا نكاد تجد اثنين من الباحثين يتفقان على تعريف مشترك للثقافة، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن لكل باحث تصوراً خاصاً للثقافة يقترب بدرجة ما من التصورات التي يقترحها باحثون آخرون ولكنه لا يتطابق مع أي منها تطابقاً تاماً. يضاف إلى هذا كون التعريفات التي يتناولها الباحثون عموماً مقتبسة من علماء الإناسة الذين درجوا على استخدام الثقافة للإشارة إلى العادات والتقاليد المميزة لحياة الشعوب غير الغربية، وكأن الغرب ليست لديه ثقافة بل لديه "العلم" فقط، مما يجعل التفكير في العلاقة الموجودة بين الثقافة الغربية والعلوم الإنسانية أمراً مستبعداً وغير وارد بالنسبة لأغلبية الباحثين.

ولهذا لم تدرس مشكلة علاقة العلوم الإنسانية بالثقافة الغربية بعد، وإن كنا نعتبر دراسة هذه العلاقة شرطا ضروريا للبحث في مشكلة تأصيل تلك العلوم داخل ثقافات إنسانية غير غربية. ذلك بأننا إذا لم نتوصل إلى تحديد العناصر الثقافية الحاضرة في العلوم الإنسانية المعاصرة بدقة، استحال علينا إعادة بناء هذه العلوم على مرتكزات ثقافية مختلفة لجهلنا بالعناصر التي ينبغي استبدالها في هيكل العلوم الإنسانية الحالية. هذه، إذن، هي المشكلة الأساسية التي يتصدى لها البحث الحالي: تعرية العلاقات التي ربطت أحد العلوم الإنسانية البارزة - وهو علم النفس - بالثقافة الغربية.

وإذا كانت علاقة العلوم الإنسانية بالثقافة ذات حساسية خاصة كما أشرنا، فإن علاقة هذه العلوم بالثقافة الإسلامية أكثر حساسية وإثارة لردود الأفعال العنيفة، ليس من جانب الغربيين فقط وإنما من جانب أبناء الأمة الإسلامية أيضا بسبب الظرف التاريخي الخاص الذي أثّرت فيه، والذي جعل معالجة هذه العلاقة والكتابة فيها تتأثر بالمواقف المسبقة من الإسلام عموما.

فمن ناحية أولى نجد أن البرامج التي يتلقاها أبناؤنا في مؤسساتنا التعليمية قد رسخت لديهم فكرة انفصال العلم عن الدين، وبالأخص الدين الإسلامي، بل أكثر من ذلك ربطت التخلف الملاحظ لدى الأمة الإسلامية بسيطرة النظرة الدينية على المعرفة، وجعلت التنمية والتقدم في كل المجالات مشروطا بالتخلي عن تلك النظرة وتبني العلمانية بديلا عنها. ولهذا عندما طرح الشهيد إسماعيل راجي الفاروقي رحمه الله مشروع أسلمة المعرفة² -الذي يهدف أساسا إلى تجاوز القطيعة التي حدثت في فكرنا المعاصر بين الإسلام والمعرفة- كان رد الفعل عنيفا بلغ درجة التصفية الجسدية لصاحب المشروع.

ومن ناحية ثانية، نجد أن واحدة من الوسائل التي تستخدمها الجامعة النصرانية وحليفتها الصهيونية في محاربة الأمة الإسلامية -في ظل النظام الدولي الجديد³- هي الحجر المعرفي عليها، وعدم السماح لها بتكوين وجهة نظر إسلامية في المعرفة تكون منطلقا لأبحاث ودراسات أصيلة تطور المعرفة في الاتجاه الذي يخدم الحضارة الإسلامية مستقبلا. إن خطورة مثل هذا التوجه بالنسبة للغربيين تكمن في أنه يؤدي على المدى الطويل إلى استقلال الباحثين المسلمين عن مراكز البحث الغربية، ونشوء مراكز بحث تتطرق في خلفياتها النظرية من الإسلام، وتعالج مشكلات المنطقة بهدف الوصول إلى حلول تسهم في بناء الحضارة الإسلامية، الشيء الذي يعني نهاية الهيمنة الصليبية-الصهيونية على أمتنا. ذلك بأن الهيمنة السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية التي تمارسها الجهات المعادية علينا لا يمكن أن تستمر دون هيمنة معرفية بالدرجة الأولى. فدهاقنة الغرب يعلمون أن "المعرفة هي القوة"، ولذلك يحرصون على مراقبة البحث العلمي في الأقطار الإسلامية عن كثب، ويعملون دائما على توجيهه في الاتجاه الذي يبقى الأمة الإسلامية في حالة الضعف والتخلف التي تعيشها.

لقد تمكن الغربيون خلال فترة الاستعمار المباشر للمنطقة الإسلامية من فرض نظامهم التعليمي على أبناء المسلمين، وهو نظام مؤسس على نظرية خاصة حول المعرفة انبثقت في بداية عصر النهضة وتطورت من خلال الصراعات التي خاضتها التيارات الفكرية المادية ضد الكنيسة، ومن خلال الكشوفات التي توصل إليها الباحثون في مجال الظواهر الكونية المادية. وتمثل تلك النظرية القاعدة المرجعية في تصنيف المعارف وتقييمها وهيكلتها النظام التعليمي الذي يسهر على تلقين المعارف وعلى تطويرها من خلال البحث العلمي. وقد ترسبت هذه النظرية في عقول أبناء الأمة الإسلامية، وأصبح الغربيون يوجهونهم من خلالها في دراساتهم وأبحاثهم بالشكل الذي يخدم مصالح الغربيين الاستعمارية. وتتمثل هذه المصالح في أمرين :

- أولهما ربط المنطقة الإسلامية بقاطرة الثقافة الغربية، بحيث تتفصل عمليا عن تراثها الثقافي وتت عزل عن الثقافات الإنسانية الأخرى، لتبقى تابعة للحركة الثقافية الغربية : تستهلك منتجاتها، وتنتج -حين تنتج- ما يقوي الغرب ويرسخ تفوقه على كل المستويات.

- ثانيهما إضعاف المنطقة من جميع النواحي لتأمين استمرار تبعيتها تجاه الغرب، وذلك باستنزاف مواردها البشرية والطبيعية.

إن مواجهة النظام الدولي الجديد تفرض على أبناء الأمة الإسلامية بلورة منظور إسلامي للمعرفة يكون منطقاً لوضع أسس النموذج الحضاري الإسلامي الذي طمس الاستعمار آثاره من واقعنا وفكرنا، وموجهاً للأبحاث الهادفة إلى رسم تفاصيل هذا النموذج الذي تتجه جهود العاملين في الحقل الإسلامي لإخراجه إلى حيز الوجود. فعلى الرغم من أن المعالم الكبرى للحضارة الإسلامية متوفرة في القرآن والسنة، وبعض تفاصيلها موجود أيضاً في صفحات تاريخ الأمة الإسلامية، إلا أننا لا يمكننا القول الآن إن ذلك كاف لبناء حضارة إسلامية نتحدى بها الحضارة الغربية. بل لا بد بالإضافة إلى دراسة تراثنا -وهي مهمة لم يتم إنجازها بعد- من التعمق في المعارف المعاصرة واستيعابها لدرجة تسمح بتحليلها وتمييز ما هو متعارض مع النظرة الإسلامية للمعرفة مما هو ليس كذلك. ثم تأتي بعد هذا خطوة تطوير المعارف الحالية في الاتجاه الذي يغني البناء الحضاري الذي نكون قد استخرجناه من التراث، بحيث ينتج لنا بديل حضاري إسلامي متقدم في مستوى التحدي الذي نواجهه اليوم.

إن بلورة هذا المنظور تقتضي أولاً بناء نظرية إسلامية في المعرفة⁴، تكون قاعدة مشتركة لمختلف التخصصات والدراسات، على اعتبار أنها تؤدي المهمات التالية :

1- تحدد مفاهيم المصطلحات الأساسية المتداولة بين الباحثين مثل العلم والمعرفة والإنسان.

2- تحدد مصادر المعرفة وترتيبها بحسب درجة وثوقها.

3- تصنف المعارف وتبين علاقاتها فيما بينها وترتيبها بحسب أهميتها.

واضح أن بناء مثل هذه النظرية يستلزم تضافر جهود عصبية من أولى العلم والعزم، وهي مهمة لم يتم إنجازها بعد. ونحن نعتبر أن عملنا لن يكتمل في غياب هذه الأرضية الأولية، غير أننا مضطرون للبدء في بحثنا دون انتظار إنجازها للحاجة الملحة إلى القيام بخطوات عملية -ولو جزئية- على طريق رفع التحدي المعرفي الذي تواجهه أمتنا.

وقد اخترنا معالجة علاقة علم النفس بالثقافة، بسبب ما لاحظناه -من خلال تتبعنا للجهود التي قام بها باحثون مسلمون في إطار "أسلمة علم النفس"- من التخبط والمحاولات غير الموفقة بسبب افتقار هؤلاء إلى فهم دقيق وعميق لعلاقة علم النفس بالثقافة. فقد ظلت العلاقة بين علم النفس والثقافة الغربية -للاعتبارات التي أشرنا إليها في بداية هذه المقدمة- بعيدة عن الأضواء، ولم يبرز الاهتمام بها إلا في الخمسينات وذلك بعد أن أعاد بعض الباحثين دراسات نفسية غربية في مناطق أخرى من العالم فتوصلوا إلى نتائج مختلفة قليلا عن النتائج التي أثبتتها الدراسات الغربية الأصلية. وقد فسرت تلك الاختلافات بكونها راجعة إلى اختلاف الثقافات التي أجريت فيها الدراسات. وخلال العقود الأربعة الأخيرة تضاعف الاهتمام بمشكلة تأثير الثقافات غير الغربية في نتائج علم النفس، وأجريت دراسات مكثفة حولها تبلورت أخيرا في تخصص مستقل داخل علم النفس يحمل اسم : "علم النفس عبر الثقافي"⁵.

إن معالجة مشكلة علاقة علم النفس بالثقافة، في الدراسات النفسية "عبر الثقافية"، اقتضت على تناول بعض الاختلافات الملاحظة بين الثقافة الغربية والثقافات الإنسانية الأخرى بهدف تفسير الاختلافات بين نتائج الأبحاث النفسية الغربية وبين النتائج التي يحصل عليها الباحثون عند إعادة تلك الدراسات في مجتمعات غير غربية. ونحن نعتبر هذه المعالجة سطحية لأنها لا تكشف عن الروابط الموجودة بين علم النفس والثقافة التي أنتجته، بل تنطلق ضمنا من "علمية" علم النفس الغربي : أي من استقلاله عن المناخ الثقافي والفكري الذي عرفته أوروبا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، وتعتبر نتائجه صالحة للتعميم على جميع أفراد النوع البشري مع أخذ بعض المتغيرات الثقافية فقط بعين الاعتبار.

لذلك قمنا بدراسة نقدية متعمقة لأسس علم النفس "عبر الثقافي" أبرزنا فيها أهم إشكالات هذا التخصص، وأتبعناها بمقترحات لحل تلك الإشكالات آخذين بعين الاعتبار البعد الإنساني لعلم النفس وضرورة توسيع آفاقه لتشمل كل الثقافات والإبداعات التي عرفتها البشرية قديما وحديثا.

فحينما نقرأ تعبير «عبر الثقافي» cross-cultural، دون أن تكون لدينا فكرة عن معناه الاصطلاحي، فإن الدلالة العامة التي تتبادر إلى ذهنه هي إشارته إلى العلاقة بين الثقافات. ولقد عرفت هذه العلاقات، منذ القدم إلى الآن، صوراً متعددة ومتنوعة تراوحت ما بين الانغلاق والعزلة واللامبالاة، وبين التعاون والتبادل والتفاهم، وبين التنافس والتدافع حتى الصراع والحرب والتدمير المتبادل. والمتتبع لهذه العلاقات خلال تاريخ الإنسانية يجد أنها كانت في أغلبها علاقات صراع وتنافس. وأهمية معرفة وضع العلاقات بين الأمم، تتمثل في كون تلك الأوضاع تنعكس مباشرة في عمل الباحثين «عبر الثقافيين» من خلال تأثيرها في المناظير التي تتحكم في منطلقات البحث وأهدافه.

فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى بداية الثلاثينات من القرن العشرين، تركز البحث في منظور عرقي منغلِق جداً، يُلخّص في تفوق الجنس الأبيض على بقية الأجناس البشرية جسمياً وعقلياً وثقافياً. وقد ساهم في ترسيخ هذا المنظور امتداد نظرية التطور إلى المجال الثقافي والحضاري، وكذلك المد الاستعماري الكاسح الذي مكن الغربيين، بسبب تفوقهم العسكري والتكنولوجي، من السيطرة على بقية شعوب العالم. وعلى الرغم من التحولات الهامة على الساحة الدولية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، فإن انعكاساتها على مناظير البحث بقيت ضعيفة ولم تحدث تغييراً بالحجم ولا بالعمق الذي كان يتوقع لمؤسسات دولية كاليونسكو أن تحدثه. لقد انحصرت آثارها في إعطاء دفعة لمنظور كان قد بدأ يتبلور منذ الثلاثينات في اتجاه استبعاد التفوق الجسمي والعقلي للغربيين من مجال البحث «عبر الثقافي» بحيث يبقى التفوق الغربي حضارياً وثقافياً فقط. وقد أسفر هذا الاتجاه عن ظهور المنظور المتمركز حول الثقافة كبديل عن المنظور العرقي السابق. ولا يزال البحث «عبر الثقافي» منذ الأربعينات إلى الآن محكوماً من هذا المنظور. إلا أن هناك دلائل تؤشر على وجود تحول فكري بطيء على المستوى الدولي يمكن أن يقود إلى تحول فعلي على مستوى البحث «عبر الثقافي» في المستقبل.

فمنذ عقد الستينات بدأ الحديث عن ظاهرة «الامبريالية الثقافية» كظاهرة شاذة في العلاقة بين الثقافات الإنسانية، وأدى الوعي المتنامي بهذا المشكل إلى نتائج مهمة في اتجاه مناقشته على أعلى المستويات من ناحية، وبلورة مناظير بديلة ترمي إلى فتح الثقافة الغربية على الثقافات الأخرى من ناحية ثانية.

1- إن الاعتراف بحق الشعوب في المحافظة على ثقافتها، كما نصت على ذلك وثائق اليونسكو⁶، وإن كان شكلياً في البداية، لم يلبث أن أثار في عقد الستينات -مع استقلال عدد كبير من الدول الإفريقية والآسيوية- مناقشات جادة حول تحديد العلاقة بين ثقافات الدول القوية وثقافات الدول الفقيرة الحديثة العهد بالاستقلال. وقد كانت المسألة من الأهمية بمكان، حيث إنها دفعت الدول الأعضاء في اليونسكو إلى تنظيم مؤتمر حول السياسات الثقافية في البندقيّة

(إيطاليا) سنة 1970. وقد اعترف مندوبو الدول المشاركة في المؤتمر بأن النمو الثقافي هو أحد العوامل الأساسية للنمو الشامل، واحتجوا ضد ما سموه «الامبريالية الثقافية»، وسحق الثقافات القومية للدول الصغيرة أو الضعيفة اقتصاديا من طرف الثقافات التي تصدرها الدول الغنية، بفضل وسائل واسعة الانتشار تنتامي قوتها يوما بعد يوم. كذلك أبدوا تفهمهم لمخاوف الدول الضعيفة من التهديدات التي تمثلها الثقافات القوية على الثقافات المحلية⁷.

وكان من نتائج توصيات هذا المؤتمر، أن أعطت اليونسكو الأولوية في برنامجها لسنة 1973 لقضية تنمية الهوية الثقافية والدفاع عنها وكذا قضية التعددية الثقافية، اعتمادا على أن "التأكيد على الهوية الثقافية يفرض نفسه اليوم كعامل قوي في حياة الشعوب وفي العلاقات الدولية أيضا"⁸. إذ تعتبر المنظمة أن إقرار الهوية الثقافية لكل شعب، في مواجهة تيار الثقافة العالمية الموحدة الذي ينادي به البعض، هو أساس التعددية الثقافية. وبشكل الاعتراف بهذه التعددية واحترامها عاملا في نشر السلام والتفاهم بين الشعوب.⁹

2- أما المؤشر الثاني على وجود تحول في تصور العلاقات «عبر الثقافية» لدى الباحثين أيضا، فهو ظهور منظور جديد في ميدان البحث النفسي «عبر الثقافي» مؤخرا في فرنسا تحت اسم «الاعتراف المتبادل بين الثقافات»¹⁰. ويمكن اعتبار هذا المنظور صدق لتوصيات اليونسكو ونداءاتها. وعلى الرغم من أن المنظور الجديد لا يزال مجهولا لدى غالبية الباحثين «عبر الثقافيين»، وعلى الرغم من نقائصه أيضا فإنه يمثل، من الناحية المبدئية، قفزة نوعية في تطور البحث «عبر الثقافي»، وفي علم النفس خصوصا.

غير أن ما بلغت النظر بهذا الصدد هو كون المبادرة أتت من الغرب نفسه، بينما نلاحظ إغفالا يكاد يكون تاما لمشكلة المناظير وما أشبهها من المشاكل ذات الطابع الاستيمولوجي لدى علماء النفس في العالم الثالث. فمن خلال فحصنا لفهرسين دوليين للأبحاث النفسية وهما Psychological Abstracts الذي تصدره رابطة علماء النفس الأمريكيين وle Bulletin Signalétique الذي يصدره المركز القومي للبحث العلمي في فرنسا، لاحظنا أنه على الرغم من تكاثر الأبحاث النفسية التي ينتجها هؤلاء في العقدين الأخيرين فإنها تركز على مواضيع ميدانية ليست لها أهمية تذكر على مستوى المشكلات النظرية والمعرفية (الاستيمولوجية) التي يطرحها البحث النفسي في المناطق الثقافية غير الغربية. ويبدو هذا الوضع شاذا أكثر في المنطقة العربية الإسلامية ذات الثقافة الغنية والعطاء المعرفي الأصيل في الماضي¹¹، حيث لم يتبلور بعد أي تيار متميز للبحث في علم النفس يفرض نفسه على الساحة العلمية الدولية.

وقد لاحظنا أيضا من خلال تصفحنا للفهارس المذكورة أنفا ضعف الاهتمام بهذه المنطقة من طرف الباحثين «عبر الثقافيين» على الرغم من غنى ثقافتها.

وبهذا الصدد نلاحظ حالياً أن الاهتمام موجه بالدرجة الأولى في الدراسات «عبر الثقافية» إلى المقارنة بين الأمريكيين والأوروبيين واليابانيين¹². ويمكننا تفسير هذا الواقع بكون التكنولوجيا تعتبر أهم عنصر في تقييم الثقافات الإنسانية حالياً. وبما أن الشعوب الثلاثة المذكورة هي المنتجة للتكنولوجيا المتقدمة، فمن «الطبيعي» أن يتركز الاهتمام على ثقافتها وتهمل الثقافات المتخلفة تكنولوجياً مثل ثقافة الدول العربية الإسلامية. وحتى حين يوجه الاهتمام إلى الثقافات الأخيرة، فإن الأبحاث «عبر الثقافية» تعمل على الحط من قيمتها وذلك بمقارنتها مع الثقافة الغربية في الميادين الاقتصادية-المعيشية والتكنولوجية-المعرفية التي يتفوق فيها الغرب، بشكل يبرز فروقاً هائلة بين الثقافات الغربية وغير الغربية يصفها بعض الباحثين بأنها «مساوية»¹³.

ولتجاوز هذا الوضع عملنا في بحثنا الحالي على وضع أرضية نظرية جديدة للبحث «عبر الثقافي» في علم النفس. وقد تطلبت هذه المحاولة عملاً تركييباً من مرحلتين: الأولى عبارة عن دراسة نقدية لأسس البحث «عبر الثقافي»، أبرزنا فيها المشكلات المرتبطة بالمفاهيم المستخدمة والثغرات الموجودة في مناظير البحث وأهدافه، وعرضنا في مرحلة ثانية الأرضية النظرية التي نقترحها كبديل لإطار العمل الحالي بوصفها تمثل حلاً للمشكلات التي أوضحناها في المرحلة الأولى سواء أتعلق ذلك بالمفاهيم أم بالمناظير. إن هذا العمل التركيبي ذو طبيعة إبستمولوجية حيث سيتناول بالنقد الأسس التي يقوم عليها البحث «عبر الثقافي» بشكل عام، ويطمح أيضاً إلى تقديم حلول على مستوى عام لا يخص منطقة ثقافية دون أخرى.

ونظراً لأن الباحثين الغربيين -حتى الأكثر تفتحاً منهم على الثقافات الأخرى من أمثال مؤسسي منظور «الاعتراف المتبادل بين الثقافات»- لا يزالون يتعاملون مع ثقافات العالم الثالث من موقع الوصي عليها ويستبعدون أي إسهام لها في مجال التقدم المعرفي، فإننا نهدف من وراء طرح رؤيتنا الجديدة إلى لفت انتباه الباحثين -وخاصة في المنطقة العربية الإسلامية- إلى إمكان تأسيس منطلقات للبحث «عبر الثقافي» مبنية على اعتبارات إنسانية بالدرجة الأولى، مختلفة عن الاعتبارات التكنولوجية والاقتصادية التي تركز عليها الرؤية الغربية.

وهنا نود أن ننبه على وجود مفارقة في استعمال عبارة «البحث عبر الثقافي في علم النفس»، إذ تستعمل في الغرب للدلالة على الدراسات النفسية التي تجرى خارج البلدان الغربية كيفما كان التخصص موضوع هذه الدراسات، ويعبر عنها أيضاً بـ«علم النفس عبر الثقافي». وكنتيجة لذلك فإن كل الأبحاث التي لها صلة بعلم النفس في المنطقة العربية الإسلامية -وغيرها من الثقافات غير الغربية- تدخل تلقائياً، في الاصطلاح الغربي، تحت عنوان علم النفس «عبر الثقافي».

وبعبارة أخرى فإن عبارة علم النفس «عبر الثقافي» لا تدل في منطقتنا على تخصص معين كما هو الحال في الغرب، وإنما تدل على البحث في علم النفس بشكل عام. ويمكننا اختصار ما سبق في الصيغة التالية :

علم النفس «عبر الثقافي» في الغرب = علم النفس في المناطق غير الغربية. ومهما بدت هذه المفارقة مجحفة أو ظالمة في حق علم النفس خارج المنطقة الغربية فإننا نعتقد بأنها تعكس الواقع تماما. ذلك بأن البحث النفسي في البلدان غير الغربية، باستثناء حالة اليابان، يشكل استمرارية باهتة لعلم النفس الغربي. وخير مثال على هذا هو وضع علم النفس في المنطقة العربية الإسلامية الذي يمكننا تلخيصه في وجود تبعية مطلقة بينه وبين علم النفس الغربي، سواء أكان ذلك على مستوى البحث أم التدريس أم الممارسة التطبيقية.

وهدفنا من صياغة تصورنا الجديد لعلم النفس «عبر الثقافي»، هو وضع مشروع لتأصيل علم النفس في المنطقة العربية الإسلامية¹⁴ بصورة تحقق له الاستقلال على كل المستويات. ونشير إلى أنه قد بدأ الحديث في العقد الماضي عن محاولات من هذا القبيل داخل مناطق ثقافية أخرى تحت عنوان : indigenization of psychology. إلا أننا نفضل استعمال لفظ «تأصيل» بدلا منه، باعتبار أن اللفظ اللاتيني مشتق من indigenous وهو نعت للشعوب غير الأوربية يحمل نبرة من الاحتقار والانتقاص من شأنها. وكيفما كان اللفظ المستعمل، فإن ما نقصده باستقلال علم النفس في المنطقة العربية الإسلامية - الذي نفترض أن تؤدي إليه عملية التأصيل - هو أن ينطلق البحث في علم النفس وتدريبه وتطبيقه من الأرضية الثقافية الخاصة بهذه المنطقة، وبذلك يسهم في إغناء المعرفة النفسية الحالية بأبحاث أصيلة مركزة على عناصر الجدة في الثقافة المحلية بالمقارنة مع الثقافة الغربية التي يقوم عليها علم النفس الآن.

وبناء على ما سبق، قسمنا مادة كتابنا إلى بابين.

قمنا في الباب الأول منها بدراسة نقدية للوضع الحالي للبحث «عبر الثقافي» في علم النفس من خلال ثلاثة فصول. نتبعنا في الفصل الأول مراحل تطور البحث «عبر الثقافي» حتى يتسنى لنا فهم الأبعاد التاريخية للمشكلات الحالية، وتناولنا كذلك العوامل التي أسهمت في هذا التطور. وعرضنا في الفصل الثاني لمشكلات تعريف المصطلحات الأساسية المستخدمة في هذا الميدان، وهي الثقافة و«علم النفس عبر الثقافي». أما في الفصل الثالث فقد تعرضنا لثلاثة مناظير وجهت البحث «عبر الثقافي» منذ بدايته حتى الآن، وهي :

- المنظور المتمركز حول العرق.

- المنظور الإسقاطي المتمركز حول الثقافة، وقد تناولنا خلال عرضنا لهذا المنظور أسلوبين رئيسيين في البحث «عبر الثقافي» هما : المعالجة من الداخل والمعالجة من الخارج.

- ثم أخيراً منظور الاعتراف المتبادل بين الثقافات.

ويتضمن الباب الثاني أطروحاتنا الرئيسة المتعلقة بحل المشاكل التي أثارناها في الباب الأول، كما تشكل هذه الأطروحات الإطار النظري البديل الذي نقترحه للبحث «عبر الثقافي» في علم النفس مستقبلاً. وقد قصدنا إلى أن تكون هذه الأطروحات عامة بحيث يمكن توظيفها في أية ثقافة إنسانية غربية أو غير غربية، وسنعرضها في فصلين. أما الفصل الرابع فقد خصصناه لمقترحاتنا بشأن مفهوم الثقافة، حيث قدمنا في البداية عرضاً مفصلاً لتصورنا عن هذا المفهوم، ثم قمنا انطلاقاً من العرض السابق بمحاولة لإجراء «تحليل ثقافي لعلم النفس»، الهدف منه فرز العناصر الثقافية والموضوعية في علم النفس الحالي تمهيداً لمناقشة أطروحتنا عن علم النفس «عبر الثقافي» التي ستشكل محور الفصل الخامس، الذي سنقدم من خلاله تعريفاً جديداً لموضوع علم النفس «عبر الثقافي»، ونتبعه بمناقشة تفصيلية لجميع فقراته، وعلى الخصوص الأهداف الثلاثة التي نسندھا للبحث «عبر الثقافي» في تصورنا الجديد، وتبدو في :

1- إغناء المعرفة النفسية الحالية بإسهامات الثقافات غير الغربية من خلال تصوراتها الخاصة عن «الإنسان». ونعتبر إسهام علماء نفس غير غربيين متجذرين في ثقافتهم الأصلية شرطاً ضرورياً للوصول إلى هذا الهدف.

2- حل بعض مشاكل علم النفس الآتية من انغلاقه داخل الثقافة الغربية.

3- تسهيل نقل المعرفة النفسية إلى بلدان العالم الثالث، لأن هذه العملية تطرح في الأوضاع الحالية مشكلات مستعصية بسبب عدم ملائمة علم النفس لثقافات البلدان غير الغربية.

هوامش الفصل

¹ إننا نستعمل لفظي الإناسة والعراقة لترجمة Anthropology و Ethnology على التوالي.

² إسماعيل راجي الفاروقي : أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل.

³ عبد الناصر السباعي : البعد الحضاري للنظام الدولي القديم والجديد.

⁴ عبد الناصر السباعي : ضرورة صياغة نظرية إسلامية في المعرفة.

⁵ لقد اخترنا عبارة "علم النفس عبر الثقافي" لترجمة مصطلح Cross-cultural Psychology.

⁶ جعلت منظمة اليونسكو هدفها الأول هو "الإسهام في حفظ السلام والأمن وتعزيز التعاون بين الأمم عن طريق التربية والعلم والثقافة، وذلك بهدف ضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية التي أقرها ميثاق الأمم المتحدة لكل الشعوب، لجميع الناس دون تمييز بين الأعراق أو اللغات أو الأديان أو بين الجنسين." (البند 1، 1، من معاهدة 1945 التي تم بموجبها إنشاء اليونسكو).

⁷UNESCO : Regard sur l'Unesco. p 27.

⁸ نفس المرجع السابق ص 37.

⁹ نفس المرجع السابق ص 38.

¹⁰ انظر الفصل الثالث ص 79.

¹¹ هونكه زيغريد : شمس العرب تشرق على الغرب.

¹²MORSBACH H. : An intensive "triangular" study (Japan-USA-Europe) of socio psychological variables.

¹³SANDERS J. L. & BRIZZOLARA M. S. : Connotative meaning of time among egyptian and american students. p 587.

¹⁴ سيصدر لنا قريباً إن شاء الله تعالى كتاب في الموضوع تحت عنوان: "مستقبل علم النفس في المنطقة العربية الإسلامية".

الباب الأول: الوضع الحالي للبحث عبر الثقافي في علم النفس

لقد نما البحث عبر الثقافي في علم النفس بصورة ملحوظة خلال العقود الأخيرة. غير أن تكاثر الدراسات الميدانية لم تصحبه دراسات نقدية كافية للأطر النظرية وللمفاهيم التي يستعملها الباحثون. ونتيجة لذلك فإن كثيرا من الغموض لا يزال يسود هذا الميدان.

وليس هدفنا في هذا الباب أن نقوم بجرد لمجالات البحث عبر الثقافي ونتائجه، الشيء الذي يمكن أن نجده بسهولة في الملخصات المنشورة دوريا في الموضوع، بل إن هدفنا هو إثارة المشكلات المتعلقة بالقضايا النظرية الأساسية في هذا الميدان. وبناء على هذا، سنتتبع في الفصل الأول تطور البحث عبر الثقافي وكذا العوامل التي أثرت فيه، على أساس أن هذا العرض التاريخي سيسهل علينا وضع المشكلات الأساسية في البحث عبر الثقافي في سياقها الزمني والفكري، ويساعدنا أيضا على استشراف مستقبلها. أما في الفصل الثاني فسننتظر للصعوبات المرتبطة بتعريف مصطلح الثقافة من جهة، وبتعريف موضوع علم النفس عبر الثقافي من جهة ثانية.

وسنستعرض بشكل تفصيلي، في الفصل الثالث، المناظير التي وجهت الدراسات النفسية عبر الثقافية، كما سنعمل على إبراز الطابع الثقافي المتحيز في المناظير الثلاثة الرئيسة لدى الباحثين:

- المنظور العرقي.
 - المنظور الثقافي-الإسقاطي.
 - منظور الاعتراف المتبادل بين الثقافات.
- وسنختتم هذا الباب بمناقشة المناظير المتوقعة في المستقبل.

الفصل الأول: نظرة تاريخية على البحث عبر الثقافي وعوامل تطوره

سنتناول في هذا الفصل نقطتين لهما في نظرنا أهمية كبيرة في تسهيل عرض مواضيع الفصلين التاليين ؛ سنقدم في النقطة الأولى نبذة عن تاريخ البحث عبر الثقافي، ثم نحلل بإيجاز في النقطة الثانية العوامل التي أثرت في تطوره.

أولاً : نبذة تاريخية¹

إن الكتابات حول المواضيع عبر الثقافية قديمة في تاريخ الإنسانية، على الرغم من صعوبة التحديد الدقيق -بالنسبة إلينا على الأقل- لتاريخ ظهور النماذج الأولى منها. ويمكن اعتبار كتابات المؤرخ اليوناني هيرودوت (484-420 ق.م) نموذجاً للطريقة التي كانت تعالج بها المواضيع عبر الثقافية في الحضارات القديمة. فقد كتب هذا المؤرخ عن الحروب التي دارت بين اليونانيين و«الهمج» الذين كان يعني بهم المصريين والميديين والفرس. إن نعت الشعوب غير اليونانية بالهمج يدلنا على التفكير العرقي الذي كان سائداً في التعامل مع الثقافات الأجنبية. ومنذ ذلك التاريخ لم تتوقف الكتابة في موضوع العلاقات بين الثقافات، لكننا لا نعترّم تتبع تطورها منذ عصر هيرودوت إلى الآن، بل سنقتصر على الفترة الممتدة من منتصف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، لأن الكتابات السابقة على هذه الفترة مبعثرة في ثنايا الكتب غير المتخصصة، الشيء الذي يجعل مهمة جمعها وتصنيفها صعبة جداً، بالإضافة إلى أن مثل هذا العمل خارج عن نطاق بحثنا. بينما نجد أنه منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر بدأت الكتابات المتخصصة في الظهور على يد إناسيين وعلماء نفس وعلماء اجتماع وغيرهم. وخلال هذه الفترة، يمكننا تمييز ثلاث مراحل في تطور الأبحاث عبر الثقافية :

- تبتدئ المرحلة الأولى حوالي سنة 1879 وتنتهي حوالي سنة 1940 مع بداية الحرب العالمية الثانية وتتميز بغلبة الأعمال الإنسانية والعراقية في الأبحاث المنشورة.
- وتتميز المرحلة الثانية، الممتدة ما بين 1940 و1960، بتوجه الباحثين نحو دراسة موضوع جديد هو «الطابع القومي» national character.

- أما المرحلة الأخيرة، التي تبتدئ حوالي 1960، فقد عرفت انطلاقاً قوية لأبحاث علماء النفس في المجال عبر الثقافي، وتجلت في عقد العديد من المؤتمرات والندوات الدولية، ونشر عدد من المجلات والكتب المتخصصة، والمناقشات الساخنة حول قضايا منهجية ونظرية.

آ- المرحلة الأولى

يسجل تأسيس «مكتب العرافة الأمريكية» Bureau of American Ethnology سنة 1879 بداية الأبحاث المنظمة في الميدان عبر الثقافي. فقد تولى المكتب تنظيم الدراسات التي أجريت على الهنود الأمريكيين وتجمعات الإسكيمو وتمويلها. وكان من بين الباحثين البارزين في هذه المرحلة فرانز بوس (1858-1942 Franz BOAS) الذي تخرج على يده الفوج الأول من الإناسيين الأمريكيين. وكان بوس معروفاً بارتباطه بالعمل الوصفي بعيداً عن التأويلات التطورية التي كان يعتبرها غير ناضجة. ولم يقتصر تلاميذه على دراسة الهنود الأمريكيين، بل إنهم ابتعدوا كثيراً عن القارة الأمريكية في رحلات دراسية لاكتشاف الشعوب البدائية وملاحظتها. وهكذا اشتغلت ميد (Mead M.) بالقبائل البدائية في جزر غينيا الجديدة ثم في ميلانيزيا، في حين توجه وارنر (Warner W. L.) فيما بين 1926 و1929 إلى شمال شرق أستراليا لدراسة سكانها الأصليين، ورحل باودرميكر (Powdermaker H.) خلال سنتي 1929 و1930 إلى جزيرة ليصو في الجنوب الغربي للمحيط الهادئ لدراسة مجتمع ميلانيزي هناك.²

وفي نفس الفترة، كان الباحثون في القارة الإفريقية (أمثال سيرجي 1908 ؛ بينغتون 1912 ؛ جينا 1924 ؛ فينت 1932 ؛ غوردون 1934 ؛ بيانشي 1934..³) منكبين على مقارنة قياسات الجمجمة (الحجم والوزن) لدى الزنجي الإفريقي والإنسان الأوروبي الأبيض. وقد كشفت أبحاثهم أن دماغ الأفارقة يساوي في المتوسط ما بين 88.9% و 89.4% من دماغ الأوروبيين.⁴

وإذا كانت الأبحاث مركزة على الشعوب البدائية حتى نهاية العشرينات من هذا القرن، فإن عقد الثلاثينات عرف اهتماماً جديداً لدى الإناسيين بالمجتمعات الزراعية مثل المكسيك واليابان والصين، وذلك بتوجيه من مالمينوفسكي Malinowski B.، أحد الأسماء البارزة في علم الإناسة آنذاك. أما بوس فقد دفع تلاميذه في هذه الفترة إلى إنجاز دراسات حول السير الذاتية بهدف التعمق في معرفة علاقة الفرد بالثقافة التي يعيش تحت تأثيرها.

خلال الثلاثينات أيضاً بدأ الباحثون في القارة الإفريقية يشتغلون بمقارنة مستوى الذكاء لدى كل من الزوج والبيض. ومرة أخرى كشفت أبحاثهم (فيك 1929 ؛ أوليفر 1932 ؛ بورتوس 1937 ؛ فيك 1939...) عن انخفاض مستوى

القدرات العقلية (التي كانت تقاس غالبا بواسطة اختبارات غير لفظية) لدى الزنوج. فمثلا، لم يحصل الراشدون من قبائل البانتو في جنوب إفريقيا في اختبار المتاهات لبورتوس إلا على عمر عقلي متوسط قدره 10.54 سنوات. وكانت نتائج أفراد البوشمان (قبائل تعيش في صحراء كهلاري) أكثر انخفاضا، إذ لم تسجل سوى عمر عقلي لم يتجاوز 7.56 سنوات⁶.

وقد كانت أول دراسة نفسية عبر ثقافية في هذه المرحلة، وربما في تاريخ علم النفس أيضا، تلك التي نشرها مالمينوفسكي سنة 1927 تحت عنوان : "الجنس والكبت في مجتمع متوحش". وقد أجراها على سكان جزر تروبريان في ميلانيزيا ما بين 1915 و 1918، بقصد التحقق من عمومية بعض اكتشافات التحليل النفسي. وبهذا الصدد كشف مالمينوفسكي عن أن عقدة أوديب التي وصفها فرويد، ليست موجهة ضد الأب لدى الميلانيزيين كما يدعي هذا الأخير، بل كانت موجهة ضد الخال، وذلك لأن دور الأب في المجتمعات الغربية يقوم به خال الطفل هناك⁷.

بعد سنة واحدة من نشر الكتاب السابق، نشرت ميد كتابها "بلوغ الرشد في ساموا" (1928) حيث طرحت على غرار مالمينوفسكي سؤالا حول عمومية أزمة المراهقة التي كشفها هال Hall S. ومرة أخرى لاحظت ميد وقائع جديدة متعارضة مع الواقع الغربي. ففي جزر ساموا لا يعاني المراهقون من الصراع العاطفي ولا من الثورة اللذين يتميز بهما أقرانهم الغربيون.

لقد كانت أعمال الباحثين السابقين بداية لاتجاه جديد في الدراسات الإنسانية. فلم تعد هذه الدراسات قاصرة على العمل الوصفي الذي يهدف إلى كتابة تقرير مفصل عن جميع جوانب حياة المجتمعات موضوع الدراسة، بل تعدت ذلك إلى إنجاز مقارنات بينها وبين المجتمعات الغربية، لإلقاء مزيد من الضوء على مظاهر الاختلاف فيما بينها عن طريق تحليلها وتأويلها.

ثم نشرت بينديكت Benedict R. سنة 1934 كتابها "نماذج الثقافة"، الذي اقترحت فيه أن ينظر إلى الثقافة باعتبارها كلا متداخل الأجزاء، و قالت إن طبيعة الإنسان العالية المرونة تتكيف بسهولة مع خصوصيات الثقافة التي ينمو الفرد داخلها. وقد عمل كاردينر Kardiner A. على إخراج أفكار بينديكت هذه، إضافة إلى أفكار كل من ميد ومالمينوفسكي، في إطار أكثر تماسكا بالاعتماد على نظرية التحليل النفسي الفرويدية. ويعتبر مصطلح الشخصية «القاعدية» الذي وضعه كاردينر سنة 1937 البوتقة التي انصهرت فيها الأفكار السابقة⁸؛ ويعني بهذا المصطلح مجموع سمات الشخصية المشتركة بين أعضاء المجتمع الواحد. وتتشكل الشخصية القاعدية خلال عملية التنشئة الاجتماعية التي تعرض الأطفال لنفس التجارب والخبرات⁹.

وقد لعب مفهوم الشخصية القاعدية دورا هاما جدا في صياغة الإشكالات المرتبطة بعلاقة الثقافة مع الشخصية. كما أنه شكل أيضا خلال العشرين سنة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية الإطار النظري المرجعي بلا منازع سواء أكان ذلك بالنسبة للدراسات عبر الثقافية أم عبر القومية.

ب- المرحلة الثانية

لقد حول اندلاع الحرب العالمية الثانية أنظار الإناسيين وعلماء النفس عن الشعوب البدائية إلى الدول المتقدمة. وخلال عقدين كاملين (من 1940 إلى 1960 تقريبا) انتقل ثقل الأبحاث عبر الثقافية إلى داخل البلدان الغربية نفسها وكذلك الدول التي كانت تهدد أمنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة. ولم يكن يعني هذا أن تبار البحث السابق قد توقف تماما، بل كل ما في الأمر أنه استمر بشكل ضعيف. وقد عرف خلال فترة الكمون هذه تطورا في مناهجه، سيتضح في عقد الستينات عندما تستأنف الأبحاث عبر الثقافية بقوة مرة أخرى.

لقد طرحت الحرب مشكلة عملية مستعجلة. إذ شعرت الولايات المتحدة بضرورة معرفة الأطراف المتحاربة، عدوة كانت أم صديقة، معرفة جيدة تسهل عليها إدارة عملياتها الحربية ؛ ولذلك وضعت برنامجا موسعا للبحث في موضوع جديد على العاملين في الميدان عبر الثقافي هو: الطابع القومي. وقد جند الباحثون كل ما في حوزتهم من وسائل نظرية ومنهجية لمعرفة الخصائص والسمات المميزة للشخصية القاعدية في عدد كبير من الدول المساهمة في الحرب. وإذا كنا قد تحدثنا في بداية هذه الفقرة عن تحول في الاهتمام لدى الباحثين، فلأن أولئك الذين كانوا منهمكين في دراسة الشعوب البدائية، وبصورة خاصة ميد وبينديكت، هم الذين سيشفرون على تنفيذ ذلك البرنامج. وقد التحق بأولئك الإناسيين فريق من الباحثين من مختلف التخصصات: التاريخ، العلوم السياسية، علم الاجتماع، الاقتصاد، علم النفس، الطب النفسي،... إلخ، وتضافرت جهودهم جميعا لدراسة الطابع القومي الأمريكي، الروسي، الياباني، الألماني، الانجليزي، الهندي وغيرهم¹⁰.

إن الدراسات التي أنجزت في إطار هذا البرنامج، التي يفضل بعض الكتاب تسميتها بالدراسات عبر القومية¹¹، كانت تنطلق من تصور نظري خاص عن العلاقة بين الثقافة والشخصية، وهو تصور يختلف عن التصور الذي كان يوجه الباحثين في المرحلة السابقة. لقد كان التصور السابق محصورا في أساليب التنشئة الاجتماعية التي تؤدي إلى تشكل هذه الشخصية أو ذلك السلوك؛ أما في دراسة الطابع القومي فقد كان الاهتمام منصبا على التلاؤم ما بين سمات الشخصية لدى الأفراد ومتطلبات الأنظمة الاجتماعية من الناحية السلوكية. لقد حاول الباحثون فهم الطرق التي تتحول من خلالها الشخصية ودوافعها إلى متغيرات أساسية في سير الأنظمة الاجتماعية ؛ واعتبرت العلاقة المثلى في هذا

السياق، هي تلك التي تكون فيها السمات المنولية المميزة للشخصية القاعدية منسجمة، من الناحية الوظيفية، مع الأنظمة الاجتماعية التي تحتضنها. أما المنهج الملائم لدراسة هذه العلاقة فيتمثل في الوصف الدقيق للشخصية المنولية ثم تحليل علاقاتها بخصائص النظام الاجتماعي الثقافي¹².

وعلى الرغم من الطابع العملي للدراسات عبر القومية، فإن سينغر¹³ يعتبر أنها مثلت إسهاما أساسيا وقويا في البحث عبر الثقافي. لقد كان تأثيرها فيه مهما ولو في نقطة واحدة على الأقل، وهي أنها حولت الاهتمام من المتغيرات العرقية إلى المتغيرات الثقافية. وفي هذا المعنى كتب سينغر¹⁴ عن وضع الباحثين في نهاية عقد الخمسينات : "لقد أصبحوا كلهم يتقبلون أن لكل ثقافة شخصية مميزة تتشكل بحسب خصوصيات تلك الثقافة. وهنا ربما من الناحية النظرية لن نكون بعيدين عن نظريات قديمة حول الطابع القومي و«عرقية» الشعوب، لولا أن الوحدات أصبحت الآن تتمثل في الثقافات بدلا من «الأعراق» أو «الشعوب»، وأن الشخصيات المميزة لها أصبح ينظر إليها على أنها نتائج للتعليم بدلا من الوراثة".

وكما سبق أن ذكرنا، فقد استمر البحث بشكل ضعيف في مواضيع المرحلة الأولى، معتمدا على التأطير النظري الذي أرساه كاردينر Kardiner A. ومساعدوه في الكتابين "الفرد ومجتمعه" (1939) و"الحدود النفسية للمجتمع" (1945)¹⁵. لقد ميز كاردينر بين مظهرين للثقافة : الأول أطلق عليه المؤسسات الأولية وتشمل بصورة خاصة الممارسات التربوية خلال الطفولة، وافترض أن هذه المؤسسات تؤثر في المظهر الثاني للثقافة المتمثل في ما أطلق عليه المؤسسات الثانوية من مثل بنية الشخصية القاعدية. "ولقد طبقت هذه الطريقة العامة في التحليل والتفسير على كثير من الثقافات المتباينة. وفي دراسة كل واحدة من هذه الثقافات، كانت الافتراضات حول الشخصية المبنية على التحليل النفسي هي الخيط الرابط نظريا بين المؤسسات الأولية والثانوية بحيث كانت المؤسسات الأولى تؤثر دائما في الثانية بصورة غير مباشرة"¹⁶.

وفي إفريقيا استمرت الدراسات المقارنة أيضا بين الزوج والبيض مفرزة نتائج تدعم تفوق الرجل الأبيض، لكن مع ظهور معطيات لصالح الزوج أحيانا. فمن ناحية أولى، ذكر كرينز نتائج عدد من هذه الأبحاث التي تبين الانخفاض المطلق في مستوى الذكاء لدى الزنجر الإفريقي (باربي 1946 ؛ أوغستو 1949 ؛ غونزاليس 1952 ؛ ميساريو 1956...) إلى حد أن هذا الأخير إذا ما قورن بمتخلف عقلي أوروبي لم يحصل على معدل ذكاء أعلى منه في الاختبارات العقلية. أضف إلى هذه النتيجة السلبية أن النساء الزنجيات يحصلن دائما على معدلات ذكاء دون مستوى الرجال الزنوج.¹⁷

من ناحية أخرى بينت بعض الأبحاث (كاروثرز 1953 ؛ فيراغن 1958)¹⁸ أنه ليست هناك علاقة بين هذا الانخفاض وبين شكل الجمجمة لدى الأفارقة، الشيء الذي يمكن اعتباره نتيجة إيجابية. إضافة إلى هذا فإن التحليل الكيفي للنتائج المحصلة باستخدام عينة بنود مختارة من اختبار الذكاء الأصلي الذي وضعه ألفرد بيني وصيغته المعدلة من طرف طرمان-ميريل، قد بين أن الزنجي الإفريقي يقوم بأداء مماثل إن لم يكن أحسن من نظيره الأوروبي في بعض البنود من مثل : فهم الأسئلة، المستحيلات، الترابط الحر، تأويل الصور، تذكر الأشكال، وإكمال الصور (أوغستو 1949).¹⁹

وفي نفس السياق نشرت باحثة فرنسية²⁰ وقائع على قدر كبير من الأهمية في فهم الفروق العرقية بين الأفارقة والأوروبيين. فقد لاحظت أن الزوج الرضع يمتون بشكل مبكر خلال السنة الأولى من عمرهم، مسجلين تقدما مقداره شهران إلى ثلاثة أشهر على أقرانهم البيض الأوروبيين. ويشمل هذا التباين جميع مظاهر النمو : الحسي الحركي، الاجتماعي، العقلي... إلخ. وابتداء من السنة الثانية فقط يظهر لديهم بطء في النمو يرجع، حسب رأي جوبر، إلى فطام عنيف. ومهما يكن سبب هذا البطء، فإن الدرس المستخلص من هذه الملاحظات بليغ في دحض الدعاوى العرقية وإثبات أن الاختلافات بين الأجناس البشرية مرجعها إلى عوامل بيئية خارجية.

ج- المرحلة الثالثة

في بداية الستينات نشر كابلان²¹ مؤلفا اعتبر أنه يقدم تصورا جديدا لعلاقة الثقافة بالشخصية، وأكد أن وجه الجدة لا يتعلق بالجانب المنهجي بل بالجانب النظري للموضوع. وقال²² إن صياغة موضوع الثقافة والشخصية بقيت لسنين عدة محصورة في التصور الذي طرحه إنكليس وليفسون في مقالهما المعنون: "الطابع القومي، دراسة الشخصية المنوالية والأنظمة الاجتماعية الثقافية"، بحيث شكل الموقف النظري الغالب، إن لم نقل الرسمي، لأغلب الباحثين في هذا الموضوع.

وفي الواقع، لقد سجل كتاب كابلان بالفعل قطيعة مع التقليد الذي سيطر على الأبحاث عبر الثقافية طيلة عقدين كاملين (من 1940 إلى 1960 تقريبا). غير أننا نعتقد بأن مثل هذا التحول كان متوقعا لأن الأسباب التي دفعت الباحثين إلى دراسة الطابع القومي كانت مرتبطة بحاجات عملية²³ محدودة من الناحية الزمنية. ولذلك كان من المحتمل جدا أن تتوقف هذه الأبحاث في نهاية عقد الخمسينات مع تغير المعطيات على الساحة الدولية. وعلى العكس من ذلك، فإن الإشكال الذي أثاره الباحثون في العشرينات والثلاثينات والمتعلق بمدى عمومية الوقائع النفسية والاجتماعية الملاحظة في البلدان الغربية والتي لم تحظ آنذاك

بالاهتمام المناسب لها، هذا الإشكال كان ذا قيمة معرفية على قدر كبير من الأهمية بحيث إن عدد الباحثين الذين أصبحوا يشتغلون به كان يزداد مع الزمن، خاصة مع انفراج الوضع الدولي وتحول الاهتمام عن مشكلة الطابع القومي. وهناك حدثان على الأقل كانا ينبئان بهذا التحول في نهاية الخمسينات :

- أولهما الأولية التي أعطتها "مجلة علم النفس الاجتماعي" ابتداء من سنة 1957 للأبحاث عبر الثقافية، حيث بدأت تنشرها في العدد الموالي لتسلمها، وهذا دليل واضح بلا شك على تنامي الاهتمام بهذا النوع من الأبحاث في الأوساط الرسمية لعلم النفس.

- الأمر الثاني هو التحذيرات التي أطلقها علماء النفس أنفسهم ضد تركز علم النفس حول الثقافة الغربية والتي يمكن اعتبارها صدًى للتحذيرات التي أصدرها الإنسانيون في وقت سابق. وقد توصلت أناستازي²⁴ إلى استنتاجات قاطعة بهذا الشأن وصاغتها في عبارات صريحة لا تحتمل التأويل، جاء فيها: "بما أن جميع أنواع السلوك تتأثر بالأرضية الثقافية للفرد، فإن ذلك يستلزم أن المعطيات النفسية المحصلة لدى مجموعة ثقافية ما، لا يمكن أن تعمم لتغطي كل السلوك الإنساني. إن كثيرا من القرارات المعروضة تحت عنوان علم النفس العام ليست عامة إطلاقا، ولكنها تركز على السلوك الإنساني كما ينمو داخل ثقافة واحدة. هذا القصور نعت أحيانا بأنه «تمركز حول الأمة» ويسود كثيرا من معارفنا النفسية. وقد أشار البعض إلى أن كثيرا من الكتب الموضوعة للطلاب حول علم النفس العام يمكن القول عنها بصورة أدق إنها تعالج «علم نفس الأمريكيين والأوروبيين الغربيين في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن التاسع عشر»."

مثل هذه التحذيرات كان لها أثر في دفع علماء النفس إلى البحث، خارج محيط الثقافة الغربية، عن المصداقية «العلمية» التي حرصوا دائما على إضافتها على نتائج دراساتهم. وقد ظهرت آثارها منذ بداية الستينات في نمو عدد الباحثين عبر الثقافيين بشكل مطرد استمر إلى يومنا هذا، الشيء الذي نتج عنه ازدياد مكافئ في عدد الدراسات والأبحاث التي دفعت بدورها إلى إنشاء مجلات متخصصة في هذا الميدان.

وهكذا ظهرت سنة 1966 "المجلة الدولية لعلم النفس"²⁵ كأول مجلة متخصصة في نشر الدراسات عبر الثقافية. ومما يعطي لهذا الحدث أهمية أكبر أن المقال الذي افتتحت به المجلة عددها الأول كان موقعا باسم أحد أعلام علم النفس العام : جان بياجى (1966). وتعتبر هذه هي المرة الأولى، بعد أربعين سنة من البحث في علم النفس، التي يتحدث فيها بياجى عن ضرورة الأبحاث عبر الثقافية. وهذا دليل أيضا على التأثير القوي الذي مارسه وجهة النظر عبر الثقافية على علماء النفس في مختلف التخصصات. وبهذا الصدد، تبين مجموعة الدراسات التي جمعها آل عيسى ودينيس ونشراها سنة 1970²⁶ تنوع الإسهامات

عبر الثقافية بتتبع مجالات علم النفس : الإدراك، النشاط المعرفي، الشخصية، التنشئة الاجتماعية، سلوك الأطفال، علم نفس اللغة، وعلم النفس المرضي.

بعد مدة قصيرة، وبالتحديد سنة 1970، ظهرت مجلة جديدة ناطقة بالانجليزية تحمل الالفة عبر الثقافية بصورة أوضح، أطلق عليها "مجلة علم النفس عبر الثقافي"²⁷. وقد تخصصت في نشر الأبحاث الميدانية. ومنذ سنة 1972، تاريخ تأسيس "الجمعية الدولية لعلم النفس عبر الثقافي"²⁸، أصبحت المجلة تصدر تحت رعاية هذه الجمعية. وقد أسست الجمعية المذكورة بهدف توفير وسيلة فعالة للاتصال بين علماء النفس المتخصصين في البحث عبر الثقافي. ولتحقيق هذا الهدف، تعقد الجمعية مؤتمرا كل سنتين لتسمح بالتقاء الباحثين وتبادل الخبرات والآراء فيما بينهم حول مواضيع الساعة. ومنذ سنة 1972، تاريخ انعقاد أول مؤتمر لها بهونغ كونغ، تعقد الجمعية مؤتمرا كل سنتين. وقد عقدت مؤتمرها الأخير و هو الواحد و العشرون بمدينة سنيلينبوش (جنوب إفريقيا) في يوليو 2012. و لم تعلن الجمعية بعد عن مكان انعقاد مؤتمرها الثاني و العشرين لسنة 2014. وقد بلغ عدد أعضاء الجمعية الآن حوالي ثمانمائة عضو ينتمون إلى أكثر من خمسة وستين بلدا.

وبما أن هذه الجمعية تتعامل باللغة الانجليزية فقط، فقد أحس الباحثون الناطقون بالفرنسية بضرورة إنشاء قناة أخرى للاتصال فيما بينهم، فأسسوا سنة 1984 "جمعية البحث عبر الثقافي"²⁹ لهذا الغرض. والجمعيتان تعملان من أجل نفس الأهداف، وتختلفان في نقطة واحدة هي كون الجمعية الناطقة بالانجليزية مقصورة على المجال النفسي بينما تعمل الجمعية الأخرى في إطار متعدد الاختصاصات. وقد عقدت الجمعية الفرنسية بدورها أربع مؤتمرات على انفراد وعقدت مؤتمرها الخامس لسنة 1992 في بلجيكا (Liège) باشتراك مع الجمعية الانجليزية حول موضوع: "نظرية البحث عبر الثقافي ومنهجيته وإستمولوجيته". ثم عادت لتعقد مؤتمراتها على انفراد بعد ذلك، حيث عقدت سنة 1994 مؤتمرا بألمانيا (Sarrebuck) دون إشراك الجمعية الانجليزية فيه. وقد عقدت مؤتمرها العاشر بالجزائر العاصمة في ماي 2005، وستعقد مؤتمرها القادم لسنة 2013 بالرباط (المغرب) في شهر دجبر المقبل.

وبعيدا عن أنشطة الجمعيتين المذكورتين، عقدت أكاديمية العلوم بنيويورك ندوة متعددة الاختصاصات في أكتوبر 1975 تحت عنوان: "قضايا في البحث عبر الثقافي". وقد جمع أدلر ليونور³⁰ -الذي أشرف على تنظيم الملتنقى- أعمال الندوة ونشرها سنة 1977. وكما جاء في كلمة الافتتاح³¹، فقد كانت الندوة مناسبة "لفحص مواضيع متداولة وأساسية في البحث عبر الثقافي ومناقشتها". وقد عرضت في الندوة تقارير نظرية وميدانية عن بحوث أجريت في مختلف ميادين علم النفس، وتم تصنيفها داخل العناوين الآتية: النظريات والمناهج في البحث عبر الثقافي، مظاهر خاصة، الإدراك والمعرفة، تحديث المحيط المحلي، علم النفس المرضي، الطب النفسي الشعبي، والعلاج النفسي.

وخلال السبعينات ظهرت عدة أعمال تقويم لحصيلة الدراسات في المجال عبر الثقافي. بعض هذه الأعمال كان عاماً³²، وبعضها كان خاصاً بمواضيع محددة³³.

ومع بداية الثمانينات نشر أول كتاب مرجعي في علم النفس عبر الثقافي³⁴، وقد عرضت في مجلداته الستة أهم نتائج الأبحاث عبر الثقافية إضافة إلى نظرة استشرافية للمستقبل كتبها لامبير³⁵. وفي نفس الفترة نشر كتاب مرجعي آخر بعنوان: "الوجيز في النمو الإنساني عبر الثقافات"³⁶. ويعتبر هذان الكتابان أهم حدثين في تاريخ البحث عبر الثقافي، حسب رأي صيغال³⁷. وبالنظر إلى كثرة الأبحاث التي ظهرت خلال عقد الثمانينات شعر المؤلفون بالحاجة إلى مراجعة الكتب السابقة، ولذا نشرت طبعة ثانية للكتاب الأول³⁸ تضمنت آخر المستجدات في الميدان حتى تصلح كمدخل لعلم النفس عبر الثقافي بالنسبة للطلاب. كما نشرت مراجعات أخرى أكثر إيجازاً على شكل مقالات³⁹ وكرس عدد خاص من "المجلة الأسترالية لعلم النفس" لمعالجة "الإسهامات في علم النفس عبر الثقافي" (1986 عدد 3).

وباختصار يمكن القول مع بريسلين⁴⁰ إن الدراسات عبر الثقافية المنشورة منذ بداية الثمانينات كانت مكثفة. ويرى هذا الكاتب⁴¹ أنها بالإضافة إلى ذلك أحسن اندماجاً داخل المعرفة النفسية، ويستدل على ذلك بكثرة الرجوع إليها في الكتابات النفسية. وأغلب الأبحاث عبر الثقافية المنشورة عبارة عن دراسات ميدانية تغطي أغلب مظاهر السلوك الإنساني (بدءاً من الوظائف الأساسية مثل الإدراك والمعرفة، ثم النمو وتغيير المواقف والمعتقدات، وأخيراً السلوك المتعلق بالتبادلات الثقافية)⁴².

وتحتل المشاكل المنهجية حيزاً هاماً بين الدراسات عبر الثقافية النظرية منذ بداية المرحلة الحالية (أي ابتداء من 1960 تقريباً)، وهي مشاكل متنوعة ومتعددة كما يشهد بذلك مان⁴³: "إن المقارنة عبر الثقافية، باعتبارها منهجاً لاختبار النظريات النفسية، تواجه عدداً من التحديات والمشاكل الخاصة. إذ ينبغي على الباحث إما أن يعمل خارج حدود مجتمعه، وإما أن يتعاون مع باحثين من بلدان أخرى يسهمون في جمع المعطيات للمشروع بكامله. والتحدي الآخر يتمثل في التأكد من أن المفاهيم والعمليات التي اكتشفت ابتداءً، وقيست في إطار الأفكار والوسائل العلمية الغربية تحتفظ بنفس الدلالة حين تنقل إلى ثقافة مختلفة. إذ إن ترجمة المفاهيم وأدوات القياس من لغة إلى أخرى تثير أيضاً مشكلات تتعلق بتعادل الدلالات عبر الثقافات".

وقد خصص عدد خاص من "المجلة الدولية لعلم النفس"⁴⁴ لمعالجة بعض المشاكل المنهجية المرتبطة بالمقارنة عبر الثقافية للمعطيات النفسية.

وخلال عقد الثمانينات ظهر مشكل نظري جديد واكتسب أهمية كبيرة في السنوات الأخيرة، ونعني به نقل المعرفة النفسية الغربية إلى دول العالم الثالث خاصة في إفريقيا⁴⁵ وجنوب آسيا⁴⁶. ومما يدل على أهمية هذا الموضوع، الدعم المالي الذي قدمته منظمة اليونسكو "للاتحاد الدولي لعلم النفس العلمي" من أجل تنظيم دراسات حول الموضوع. وقد نشرت الأبحاث التي أنجزت في هذا الإطار في عدد خاص من "المجلة الدولية لعلم النفس" تحت عنوان : "تأثير علم النفس في نمو العالم الثالث"⁴⁷.

ثانيا : عوامل تطور البحث عبر الثقافي

لقد تطور البحث عبر الثقافي منذ نهاية القرن التاسع عشر بشكل ملحوظ، سواء أكان ذلك من حيث مناظير البحث وعدد الدراسات المنشورة أم من حيث تنوع الظواهر الخاضعة للمقارنة وكذا القيمة العلمية للأبحاث المقارنة. ويرجع هذا التطور، حسب رأينا، إلى عاملين رئيسيين: تطور علم النفس من ناحية، وتغير العلاقات الدولية من ناحية أخرى.

أ- نمو علم النفس كعامل في تطور البحث عبر الثقافي

طبعاً لم يكن علم النفس وحده المؤثر في البحث عبر الثقافي، بل يمكننا القول إن تطور هذا الأخير كان محصلة تأثير عدد من العلوم، وبالأخص العلوم الإنسانية مثل علم الاجتماع والإناسة والعراقة. وإذا كنا سنقتصر على تطور البحث عبر الثقافي في علم النفس فقط فذلك يتعلق بضرورة التخصص الذي لا يسمح لنا بالتوسع خارج حدوده.

ومن السهل فعلاً ملاحظة الارتباط بين تطور علم النفس موضوعاً ومنهجاً من ناحية، وبين نمو البحث عبر الثقافي في علم النفس من ناحية ثانية. وهكذا كانت المقارنات الأولى التي نشرها ريفرز سنتي 1901 و1905⁴⁸، وكان قد أجراها على سكان الجزر الواقعة في مضيق طوريس، تتناول النشاط الإدراكي البصري، الشمي، السمع والجلدي إضافة إلى الذاكرة. وإذا رجعنا إلى وضع علم النفس في نهاية القرن التاسع عشر فإننا نجد أن الأنشطة الحسية والإدراكية وكذلك الذاكرة، كانت هي المواضيع التي تشغل غالبية علماء النفس داخل مختبراتهم. وفي العقد الأول من هذا القرن، حين بدأ علماء النفس يبحثون في الأنشطة العقلية العليا (بيني) والآليات اللاشعورية (فرويد) وظواهر النمو (هال)، اقتبس منهم الباحثون عبر الثقافات المفاهيم والنظريات التي توصلوا إليها واستخدموها في مقارناتهم خلال العقد الموالي. وقد أشرنا آنفاً⁴⁹ إلى أعمال كل من ميد ومالينوفسكي وهي أمثلة على الأبحاث المقارنة في تلك الفترة. وفي نهاية العشرينات، حين امتدت مدرسة التحليل النفسي إلى الولايات المتحدة -التي كانت تحتضن غالبية الباحثين في هذا الميدان- سيطرت الأفكار الفرويدية على جل

الأعمال عبر الثقافية؛ وخاصة بعد أن تبناها إناسيون بارزون من أمثال كاردينر ولينتون. ومن هنا كانت صياغة علاقة الثقافة بالشخصية في إطار مغلق من أفكار التحليل النفسي. وقد كان هذا الانغلاق من القوة بحيث إن مظاهر أخرى هامة لهذه العلاقة مثل النشاط المعرفي أقصيت تماما من الدراسة بسبب إهمالها داخل المدرسة الفرويدية⁵⁰.

ومع بروز التيار المعرفي في علم النفس في بداية الخمسينات، اتجهت الأبحاث عبر الثقافية إلى دراسة العلاقة بين الثقافة والنشاط المعرفي. وتدلنا ملخصات الأبحاث التي نشرت منذ نهاية الخمسينات⁵¹ على تنامي الاهتمام بهذا المجال، الشيء الذي يعكس في نفس الوقت الأهمية المتصاعدة للتيار المعرفي داخل الدراسات النفسية.

ولدينا مثالان يوضحان نمو هذا الاتجاه داخل الأبحاث عبر الثقافية، هما الدراسات المتعلقة بنظريتي كل من بياجى وفيتكين. فقد أنجزت أبحاث في مختلف مناطق العالم للتحقق من عمومية الوقائع الأساسية لهاتين النظريتين، مع ملاحظة أن نظرية بياجى أعطت عددا أكبر من الأبحاث ربما بحكم قدمها. ففي بداية الثلاثينات، قامت ميد بدراسات مقارنة على السكان البدائيين في جزر المحيط الهادئ للتحقق من وجود التفكير الإحيائي -الذي وصفه بياجى لدى الأطفال السويسريين- في تلك المجتمعات. ونظرا للشهرة العالمية التي اكتسبتها أعمال بياجى فإن الباحثين عبر الثقافيين أبدوا اهتماما زائدا بها، تدل على ذلك الملخصات التي نشرها كل من جاهودا⁵² ودازن⁵³ للأبحاث حول هذا الموضوع.

أما نظرية فيتكين⁵⁴ فقد بدأ الاهتمام بها من طرف الباحثين عبر الثقافيين في نهاية الخمسينات⁵⁵ ولا تزال الأبحاث التي أفرزتها قليلة إذا ما قورنت بالأبحاث البياجية عبر الثقافية.

انطلاقا من الملاحظات السابقة يمكننا القول إن الأبحاث عبر الثقافية كانت تتمو على هامش النظريات النفسية الكبرى، وتعبير آخر فإنها كانت تتبع حركة علم النفس على بعد، بمعنى أن كل نظرية أو مدرسة جديدة في علم النفس كانت تأخذ وقتا لكي تكتسب مركزا داخل المعرفة النفسية وتتأكد أهميتها قبل أن تجرى عليها دراسات مقارنة عبر ثقافية.

ب- تأثير العلاقات الدولية في البحث عبر الثقافي

العامل الثاني الذي أثر وما زال يؤثر في البحث عبر الثقافي هو وضع العلاقات الدولية. ولهذا التأثير مظهران مختلفان من حيث الأهمية.

المظهر الأول يتعلق بالتسهيلات أو العقبات التي يمكن أن يؤثر بها نوع العلاقات بين مختلف دول العالم في إجراء الأبحاث عبر الثقافية في هذا البلد أو ذاك.

"فمثلا بالنسبة للأمريكيين، يقول بارنوو⁵⁶، كان من السهل جدا عليهم في الخمسينات والستينات إجراء دراساتهم في الهند. لكن بعد يناير 1972 بسنوات قليلة لم يحصل فعلا أي باحث أمريكي على تأشيرة الدخول إلى الهند لأغراض البحث. وهذا يرجع إلى الوضع السياسي، وخاصة الاستياء الذي شعرت به الهند تجاه تحيز الولايات المتحدة إلى جانب باكستان أثناء أزمة بانغلاديش. فقد أصبحت الحكومة الهندية تنظر بعين الحذر إلى دراسات القرى التي يقوم بها الإناسيون الأمريكيون لأنها أصبحت تتهمهم غالبا بالجاسوسية. ولأسباب سياسية مماثلة أغلقت حدود الفلبين في وجه الإناسيين الأمريكيين. ومن الطبيعي أيضا ألا يتمكن هؤلاء من العمل داخل الأراضي الصينية الواقعة تحت الحكم الشيوعي، وإن كان بعضهم قد اشتغل مؤخرا في طايبوان وهونغ كونغ. واليوم، يمنع الإناسيون من البحث داخل جزء كبير من جنوب شرق آسيا، كما أصبحت أوضاعهم صعبة في جزء كبير من إفريقيا وأمريكا اللاتينية."

ونفس الأمر يمكن أن يقال بالنسبة للباحثين الأوروبيين مع فارق بسيط. غير أن هذا كله لا يمثل سوى مظهر واحد لتأثير العلاقات الدولية في البحث عبر الثقافي وهو الأقل أهمية في نظرنا.

أما المظهر الآخر فإنه خفي وغير مباشر، لكنه أكثر أهمية من الأول بالنظر إلى تأثيره في مناظير البحث. ذلك بأن الأفراد في أي مجتمع -ومن ضمنهم الباحثون- يتقصدون هوية أمتهم، ويكونون «صورا» عن أنفسهم كشعب، وعن بقية الشعوب الأخرى التي يتميزون عنها. ولقد اقتبسنا هذا المصطلح الأخير من ميروغليو⁵⁶ الذي بين أهميته في النص التالي: "مبدئيا ليست هناك أية صعوبة فيما يتعلق بإمكان ملاحظة وجود هذه الصور أو تلك، التي، على الرغم من صعوبة قياسها أو تقييمها، تنزل بكل ثقلها في العلاقات بين الشعوب، تلك الصور التي يخشى أن تكون قد جلبت من الشرور أكثر بكثير مما جلبت من الخير. فلا دين هولاندر ولا كلاينبرغ، وهما متخصصان من مستوى عال في هذه المواضيع، يمكنهما التشكيك في قولنا إن الفكرة التي نحملها عن شعب آخر لها من الأهمية في علاقتنا به أكثر مما لحقيقة تصرفاته نفسها."

هذه الصور تتشكل وتتأثر مباشرة بالعلاقات الدولية، وبما أن هذه الأخيرة غير مستقرة فإن التحولات التي تطرأ عليها تنعكس باستمرار على محتوى التصورات المتعلقة بالشعوب. ويمكننا القول بشكل عام إن أساس العلاقات الدولية يرتكز على موازين القوى، ولذا لا تخرج العلاقات بين الدول عن إحدى ثلاث حالات: هيمنة، أو خضوع، أو تنافس (عند توازن قوى الطرفين). ولا نحتاج هنا إلى الدخول في تفاصيل هذه الحالات لأن مجال البحث لا يتسع لها، إضافة إلى أن هذا التقسيم كاف بالنسبة لنا لفهم العلاقات القائمة بين الدول الغربية وغير الغربية.

وخلال الفترة التي تناولناها في الفقرة التاريخية من هذا الفصل (أي منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن) كان الباحثون عبر الثقافيون ينتمون دائما وبشكل مطلق تقريبا إلى الدول الغربية. ولقد شهدت هذه الفترة هيمنة الغرب على بقية العالم بأشكال مختلفة حسب الزمان والمكان. ولذا كان الباحثون يمثلون بلدانهم «المهيمنة» لدى شعوب العالم الثالث «المغلوبة»، ويستغلون موقع القوة الذي يضفيه عليهم انتمائهم للغرب في إنجاز دراساتهم. ومن هنا أمكننا القول إن الصورة التي يكونها الباحث عبر الثقافي الغربي عن الشعوب التي يدرسها لا بد أن تتأثر بعلاقة السيطرة التي يمارسها بلده على هذه الأخيرة، خاصة إذا تذكرنا الحالة المزرية والمساوية التي تعيشها الشعوب المغلوبة.

إننا نعتقد أننا قد وضعنا أيدينا هنا على موضوع بالغ الأهمية لم يلق حتى الآن -حسب علمنا- أي اهتمام يذكر من طرف الباحثين. وتشكل الدراسة التي سنقوم بها لمناظير البحث في الفصل الثالث معالجة غير مباشرة لهذا الموضوع، لكنها لن تخفي عن دراسة مفصلة للصور -الواقعة في ما قبل الشعور غالبا- التي يحملها الباحثون عبر الثقافيون عن الثقافات والشعوب التي يدرسونها.

هوامش الفصل

ESSBAI A. : Aperçu historique des recherches interculturelles en psychologie.

²BARNOUW V. : Foreword. In Favazza A. R. & Oman M. : Anthropological and cross-cultural themes in mental health.

³CRYNs A. G. J. : African intelligence : a critical survey of cross-cultural intelligence research in Africa south of the sahara.

⁴ نفس المرجع السابق ص 284-285.

⁵ نفس المرجع السابق.

⁶ نفس المرجع السابق ص 287-288.

⁷BARNOUW V. : Foreword. In Favazza A. R. & Oman M. : Anthropological and cross-cultural themes in mental health.

⁸ نفس المرجع السابق ص 4.

⁹DUFRENNE M. : La personnalité de base, un concept sociologique.

¹⁰SINGER M. : A survey of culture and personality theory and research. p 43-57.

¹¹ انظر الفصل الثاني ص 35.

¹²KAPLAN B. : A final word. p 661.

¹³SINGER M. : A survey of culture and personality theory and research.

¹⁴ نفس المرجع السابق ص 22.

¹⁵WHITING J. W. M. & CHILD I. L. : Child training and personality : a cross-cultural study.

¹⁶ نفس المرجع السابق ص 3.

¹⁷CRYNS A. G. J. : African intelligence : a critical survey of cross-cultural intelligence research in Africa south of the sahara. p 288-290.

¹⁸ نقلا عن المرجع السابق ص 287.

¹⁹ نقلا عن المرجع السابق ص 290-291.

²⁰GEBER M. : The psychomotor development of African children in the first year and the influence of maternal behavior.

²¹KAPLAN B. (ed) : Studying personality cross-culturally.

²² نفس المرجع السابق ص 661.

²³ انظر أعلاه ص 20.

²⁴ANASTASI A. : Differential psychology : individual and group differences in behavior. p 605.

²⁵ مجلة مزدوجة اللغة، عنوانها بالانجليزية
International journal of psychology
Journal international de psychologie
وبالفرنسية

²⁶AL ISSA I. & DENNIS W. (eds) : Cross-cultural studies of behavior.

²⁷The journal of cross-cultural psychology.

²⁸International Association for Cross-Cultural Psychology (IACCP).

ولمزيد من المعلومات حول
الجمعية يرجع إلى موقعها على الإنترنت:

²⁹Association Pour la Recherche Interculturelle (ARIC).

ولزيد من المعلومات حول الجمعية يرجع إلى موقعها على الإنترنت:

<http://www.unifr.ch/ipg/sitecrt/ARIC/Ouverture.htm>

³⁰ADLER L.L. (ed) : Issues in cross-cultural research.

³¹ADLER L.L. : A plea for interdisciplinary cross-cultural research : some introductory remarks. p 2.

³² انظر مثلاً:

- TRIANDIS H. C. ; DAVIDSON A. R. & MALPASS R. S. : Psychology and culture.

- LABORATORY OF COMPARATIVE HUMAN COGNITION : What's cultural about cross-cultural cognitive psychology?

³³BERRY J. W. & DASEN P. R. : Culture and cognition, readings in cross-cultural psychology.

³⁴TRIANDIS H. C. ; LAMBERT W. W. ; BERRY J. ; LONNER W. ; HERON A. ; BRISLIN R. & DRAGUNS J. (eds) : Handbook of cross-cultural psychology (6 volumes).

³⁵ نفس المرجع السابق ص 15-30.

³⁶MUNROE R. H. ; MUNROE R. L. & WHITING B. (eds) : Handbook of cross-cultural human development.

³⁷SEGALL M. : Culture and behaviour. Psychology in global perspective. p 526.

³⁸SEGALL M. ; DASEN P. ; BERRY J. & POORTINGA Y. : Human behavior in global perspective. An introduction to cross-cultural psychology.

³⁹ انظر مثلاً:

- BRISLIN R. W. : Cross-cultural research in psychology.

- SEGALL M. : Culture and behaviour. Psychology in global perspective.

- KAGITCIBASI C. & BERRY J. W. : Cross-cultural psychology : current research and trends.

⁴⁰BRISLIN R. W. : Cross-cultural research in psychology. p 363.

⁴¹ نفس المرجع السابق ص 364.

⁴² راجع أيضا :

-SEGALL M. : Culture and behaviour. Psychology in global perspective.

-MANN L. : Contributions to cross-cultural psychology : an introduction.

⁴³ نفس المرجع السابق ص 201.

⁴⁴POORTINGA Y. H. & BERRY J. W. (Eds) : Cross-cultural comparison of psychological data : issues and pitfalls.

⁴⁵ انظر مثلا:

- DUROJAIYE M. O. A. : Ethics of cross-cultural research viewed from third world perspective.

- AIT SAHALIA R. : Quelques réflexions sur la recherche et l'enseignement de la psychologie en Algérie.

- AKIN OGUNDEJI O.: Some thoughts on the relevance of applied psychology in Africa.

⁴⁶MOGHADDAM F. M. & TAYLOR D. M. : What constitutes an "appropriate psychology" for the developing world?

⁴⁷SINHA D. & HOLTZMAN W. H. (eds) : The impact of psychology on Third World development.

⁴⁸BERRY J. W. & DASEN P. R.:Culture and cognition, readings in cross-cultural psychology. p 3.

⁴⁹ انظر أعلاه ص 18.

⁵⁰GLADWIN T. : Culture and logical process. p. 27-28.

⁵¹ راجع بهذا الصدد :

- JAHODA G. : A cross-cultural perspective in psychology.

- PRICE-WILLIAMS D. R. : Cross-cultural studies.

- AL ISSA I. & DENNIS W. (eds) : Cross-cultural studies of behavior.

- BERRY J. W. & DASEN P. R. : Culture and cognition, readings in cross-cultural psychology.

- DASEN P. R. (ed) : Piagetian psychology, cross-cultural contributions.

- TRIANDIS H. C. ; LAMBERT W. W. ; BERRY J. ; LONNER W. ; HERON A. ; BRISLIN R. & DRAGUNS J. (eds) : Handbook of cross-cultural psychology. volume 3.

⁵²JAHODA G. : A cross-cultural perspective in psychology.

⁵³DASEN P. : Cross-cultural piagetian psychology : a summary.

⁵⁴راجع بهذا الصدد :

- ESSBAI A. : Style cognitif et accès à la pensée formelle.

- ESSBAI A. : Une approche cognitiviste des différences interindividuelles : les styles cognitifs. Un aperçu des travaux de Witkin.

⁵⁵WITKIN H. A. : A cognitive style approach to cross-cultural research. p 106.

⁵⁶BARNOUW V. : Foreword. In Favazza A. R. & Oman M. : Anthropological and cross-cultural themes in mental health. p 5.

⁵⁷MIROGLIO A. : La psychologie des peuples. p 40

المراجع

المراجع العربية

- القرآن الكريم (على رواية الإمام ورش).
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة. بيروت، دار القلم، بدون تاريخ.
- بن نبي (مالك): مشكلة الثقافة. بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ.
- بوخنسكي: تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا. طرابلس/ليبيا، مكتبة الفرغاني، بدون تاريخ. (تعريب محمد عبد الكريم وافي)
- بولتزر (جورج): أزمة علم النفس المعاصر. القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، بدون تاريخ. (تعريب لطفي فطيم)
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتبيين (4 أجزاء). بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ. (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون).
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر): كتاب الحيوان (7 أجزاء). بيروت، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، 1969. (تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون).
- الدفاع (علي عبد الله): العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية. بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.
- السباعي (عبد الناصر): قراءة في الكتابات التربوية الإسلامية من ابن سحنون إلى ابن خلدون. الهدى، 1989، العدد 21، ص 25-36.
- السباعي (عبد الناصر): مشكلات علم النفس في ضوء التصور الغربي للإنسان. دراسة تاريخية. المسلم المعاصر، 1990، 15، 57، ص 145-161.
- السباعي (عبد الناصر): البعد الحضاري للنظام الدولي القديم والجديد. الهدى، 1994، العدد 30، ص 4-14.

- السباعي (عبد الناصر): نحو صياغة جديدة لمفهوم الثقافة. الهدى، 1995، العدد 31، ص 2-11.
- السباعي (عبد الناصر): مشكلة المصطلحات في علم النفس. بحث منشور ضمن أعمال ندوة "الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية" التي نظمتها جامعة سيدي محمد بن عبد الله أيام 23-25 نونبر 1993. الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1996، ص 821-851.
- السباعي (عبد الناصر): ضرورة صياغة نظرية إسلامية في المعرفة. الهدى، 1996، العدد 33، ص 2-12.
- الفاروقي (إسماعيل راجي): أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل. الكويت، دار البحوث العلمية، 1984 (تعريب عبد الوارث سعيد).
- فلوجل ج. ك. : علم النفس في مائة عام. بيروت، دار الطليعة، 1973. (تعريب لطفي فطيم)
- هونكه (زيغريد): شمس العرب تشرق على الغرب. بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1964.
- وودورث (روبرت): مدارس علم النفس المتعاصرة. بيروت، دار النهضة العربية، 1981 (تعريب كمال دسوقي).

المراجع الأجنبية

- ADLER L. L. : A plea for interdisciplinary cross-cultural research : some introductory remarks. Annals of the New York academy of sciences, 1977, 285, 1-2.
- ADLER L. L. (ed) : Issues in cross-cultural research. Annals of the New York academy of sciences, 1977, 285, 1-753.
- AIT SAHALIA R. : Quelques réflexions sur la recherche et l'enseignement de la psychologie en Algérie. Enfance, 1983, 4, 351-362.
- AKIN OGUNDEJI O.: Some thoughts on the relevance of applied psychology in Africa. International journal of psychology, 1987, 22, 4, 483-491.
- AL ISSA I. & DENNIS W. (eds) : Cross-cultural studies of behavior. New York ; Holt, Rinehart et Winston ; 1970.
- ALTHUSSER L. : Philosophie et philosophie spontanée des savants. Paris, Maspero, 1974.
- ANASTASI A. : Differential psychology : individual and group differences in behavior. New York, MacMillan, 1958 (3e ed).
- ASIMOV I. : L'univers de la science. Paris, Inter Editions, 1986
- AZUMA H. : Psychology in a non-Western country. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 45-55.

- BALTA P. : Le recul des études arabes. Le Monde, n°13 338 du 17 Décembre 1987, p. 23.
- BARNOUW V. : Foreword. In Favazza A. R. & Oman M. : Anthropological and cross-cultural themes in mental health. Columbia et London, University of Missouri Press, 1977, pp. 1-6.
- BARZUN J. : Avant propos. In Toulmin S. : L'explication scientifique. Paris, Armand Colin, 1973, pp. 7-11.
- BERRIEN F. K. : A super-ego for cross-cultural research. International journal of psychology, 1970, 5, 1, 33-39.
- BERRY J. W. : On cross-cultural comparability. International journal of psychology, 1969, 4, 2, 119-128.
- BERRY J. W. : Imposed etics-emics-derived etics : the operationalization of compelling idea. International journal of psychology, 1989, 24, 6, 721-735.
- BERRY J. W. & DASEN P. R. : Culture and cognition, readings in cross-cultural psychology. London, Methuen, 1974.
- BERTOCCI P. A. : The partners that cannot be divorced : psychology and philosophy. Psychologia, 1971, 14, 3-4, 148-152.
- BRIL B. & LEHALLE H. : Le développement psychologique est-il universel? Approches interculturelles. Paris, PUF, 1988.
- BRISLIN R. W. : Comparative research methodology : cross-cultural studies. International journal of psychology, 1976, 11, 3, 215-229.
- BRISLIN R. W. : Cross-cultural research in psychology. Annual review of psychology, 1983, 34, 363-400.
- CARREL A. : L'homme, cet inconnu. Paris, Plon, 1935.
- CASSIRER E. : Essai sur l'homme. Paris, Editions de minuit, 1975.
- CHATEAU J. : Le malaise de la psychologie. Paris, Flammarion, 1972.
- CHING C. C. : Psychology and the four modernizations in China. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 57-63.
- CHOMSKY N. : Psychology and ideology. Cognition, 1972, 1, 1, 11-46.
- CLANET C. : Préface (L'interculturel : enfermements idéologiques et ouvertures). In Weber E. (1985) : Maghreb arabe et Occident français. (voir ci-dessous), pp. 7-29.
- COHEN J. : Homo Psychologicus. Paris, Groupe d'études de psychologie de l'université de Paris, 1970. (Bulletin de psychologie, 1970-1971, 287, XXIV, 1-2).
- COMTE A. : Discours sur l'esprit positif. Paris, Union générale d'éditions, 1963.
- CRYNS A. G. J. : African intelligence : a critical survey of cross-cultural intelligence research in Africa south of the sahara. The journal of social psychology, 1962, 57, 283-301.

- DASEN P. R. : Cross-cultural piagetian research : a summary. Journal of cross-cultural psychology, 1972, 3, 1, 23-39. (Réédité in Berry et Dasen 1974 pp. 409-423).
- DASEN P. R. (ed) : Piagetian psychology, cross-cultural contributions. New York, Gardner press, 1977.
- DOOB L. W. : An introduction to the psychology of acculturation. The journal of social psychology, 1957, 45, 2, 143-160.
- DUFRENNE M. : La personnalité de base, un concept sociologique. Paris, P.U.F., 1972.
- DUROJAIYE M. O. A. : Ethics of cross-cultural research viewed from third world perspective. International journal of psychology, 1979, 14, 2, 137-141.
- DUROJAIYE M. O. A. : The impact of psychological testing on educational and personnel selection in Africa. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 135-144.
- EMBER C. R. : Cross-cultural cognitive studies. Annual review of anthropology, 1977, 6, 33-56.
- ESSBAI A. : Aperçu historique des recherches interculturelles en psychologie. In DAHBI M., EZROURA M. & HADDAD L. (eds): Cultural studies, interdisciplinarity and the university. Rabat, The Faculty of Letters and Human Sciences-Rabat, 1996, pp. 269-284.
- ESSBAI A. : Réflexions critiques sur la culture et la psychologie interculturelle. Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences humaines Dhar El-Mahraz - Fès, 2004, n°13 pp. 99-115.
- ESSBAI A. : Style cognitif et accès à la pensée formelle. (Thèse de Doctorat de troisième cycle non publiée), Bibliothèque de l'Université de Nancy II, Faculté des Lettres (France), 1983.
- ESSBAI A. : Une approche cognitiviste des différences interindividuelles : les styles cognitifs. Un aperçu des travaux de Witkin. Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences humaines - Fès, 1989, n 10, 35-48.
- FLORENCE J.-F. : Misère de la psychologie. Revue de psychologie et des sciences de l'éducation, 1969, 4, 2, 200-211.
- FLORENCE J.-F. : Problématique, la psychologie. A propos d'un livre de Didier Deleule. Revue de psychologie et des sciences de l'éducation, 1971, 6, 3, 369-387.
- FOX D. R. : Psychology, ideology, utopia and the commons. American Psychologist, 1985, 40, 1, 48-58.
- FRAISSE P. : L'évolution de la psychologie expérimentale. In Fraisse P. & Piaget J. : Traité de psychologie expérimentale (vol. 1 : Histoire et méthode). Paris, PUF, 1963, pp. 1-70.
- FRAISSE P. : Psychologie : science de l'homme ou science du comportement. Boll. Psicol. Appl., 1977, n°136-138, 3-11.

- FRAISSE P. : La psychologie à la recherche de son objet? In Siguan M. (dir) : Comportement, cognition, conscience. (Symposium de l'A P S L F 1985). Paris, PUF, 1987, pp. 261-268.
- FRENCH D. : The relationship of anthropology to studies in perception and cognition. In Koch S. (ed) : Psychology, a study of a science. New York, McGraw Hill, 1963, vol. 6, pp. 388-428.
- FREUD S. : L'avenir d'une illusion. Paris, PUF, 1971.
- FRIJDA N. & JAHODA G. : On the scope and methods of cross-cultural research. International journal of psychology, 1966, 1, 2, 109-127.
- GEBER M. : The psychomotor development of African children in the first year and the influence of maternal behavior. The journal of social psychology, 1958, 47, 185-197.
- GLADWIN T. : Culture and logical process. In Berry & Dasen : Culture and cognition. 1974 (voir ci-dessus), pp. 27-37.
- GOBINEAU J. A. de : Essai sur l'inégalité des races humaines. In : Œuvres. Paris, Gallimard, 1983, vol. 1, pp. 134-1174.
- GOTTESDIENER H. ; CARLIER M. & ROBERTOUX P. : Race et intelligence : postulat du modèle d'analyse et présentation critique de quelques études. Bulletin de psychologie, 1978-1979, 32, 340, 443-455.
- GREENFIELD P. M. : On culture and conservation. In Bruner J. S ; Olver R. R. ; Greenfield P. M. & al. : Studies in cognitive growth. New York, John Wiley, 1966. pp. 225-256.
- GUAYDIER P. : Histoire de la physique. Paris, PUF, 1950.
- GUILHOT J. : La vocation universelle d'une culture occidentale scientifique et humaniste et les chances d'une culture mondialiste. Ethno-psychologie, 1977, 32, 1, 3-33.
- GUSDORF G. : Les sciences de l'homme sont des sciences humaines. Paris, Les belles lettres, 1967.
- GUTHRIE G. M. : Unexpected correlations and the cross-cultural method. Journal of cross-cultural psychology, 1971, 2, 4, 315-323.
- HABERMAS J. : La technique et la science comme "idéologie". Paris, Gallimard, 1973.
- HALLOWELL A. I. : Personality, culture, and society in behavioral evolution. In Koch S. (ed) : Psychology : a study of a science. New York, McGraw Hill, 1963, vol. 6, pp. 429-509.
- HERSKOVITS M. J. : Man and his works. New York, Knopf, 1948.
- HILGARD E. R. ; ATKINSON R. L. & ATKINSON R. C. : Introduction à la psychologie. Montréal, Ed. Etudes vivantes, 1980.
- HOLTZMAN W. H. : Cross-cultural studies in psychology. International journal of psychology, 1968, 3, 2, 83-91.
- HUSSERL E. : La crise des sciences européennes et la phénoménologie transcendantale. Paris, Gallimard, 1976.

- INKELES A. & LEVINSON D. J. : National character : the study of modal personality and sociocultural systems. In Lindzey G. & Aronson E.: The handbook of social psychology. Reading, Mass.; Addison-Wesley; 1969 (2e ed), vol. 4, pp. 418-506.
- JAHODA G. : Child animism : 1- A critical survey of cross-cultural research. The journal of social psychology, 1958, 47, 2, 197-212.
- JAHODA G. : A cross-cultural perspective in psychology. The advancement of science, 1970, 27, 57-70.
- JAHODA G. : A cross-cultural perspective on experimental social psychology. Personality and social psychology bulletin, 1979, 5, 142-148.
- JAHODA G. : Theoretical and systematic approaches in cross-cultural psychology. In Triandis H. & Lambert W. : Handbook of cross-cultural psychology. Vol. 1- perspectives. (voir ci-dessous). pp. 69-141.
- KAGITCIBASI C. : Socialisation in traditional society : a challenge to psychology. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 145-157.
- KAGITCIBASI C. & BERRY J. W. : Cross-cultural psychology: current research and trends. Annual review of psychology, 1989, 40, 493-531.
- KANTOR J. R. : Psychology : science or nonscience? Psychological records, 1979, 29, 2, 155-163.
- KAPLAN B. (ed) : Studying personality cross-culturally. Evanston, Ill et New York ; Row, Peterson ; 1961.
- KAPLAN B. : A final word. In Kaplan B. (ed) : Studying personality cross-culturally. (voir ci-dessus). pp. 659-669.
- KLINEBERG O. : Historical perspectives : cross-cultural psychology before 1960. In Triandis H. & Lambert W. : Handbook of cross-cultural psychology. Vol. 1- perspectives. (voir ci-dessous). pp. 31-67.
- KOCH S. : The nature and limits of psychological knowledge : lessons of a century qua "science". American Psychologist, 1981, 36, 3, 257-269.
- KROEBER A. L. & KLUCKHOHN C. : Culture. A critical review of concepts and definitions. New York, Vintage, 1963 (1e edition 1952).
- LABORATORY OF COMPARATIVE HUMAN COGNITION: What's cultural about cross-cultural cognitive psychology? Annual review of psychology, 1979, 30, 145-172.
- LADMIRAL J. R. : Préface. In Habermas J. : La technique et la science comme "idéologie". Paris, Gallimard, 1973, pp. VII-XLIX.
- LAGMAY A. V. : Western psychology in the Philippines : impact and response. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 31-44.

- LAUTREY J. & RODRIGUEZ TOME H. : Etudes interculturelles de la notion de conservation. In REUCHLIN M. (dir) : Cultures et conduites. Paris, P.U.F., 1976, pp. 247-281.
- LEUNG K. & BOND M. H. : On the empirical identification of dimensions for cross-cultural comparisons. Journal of cross-cultural psychology, 1989, 20, 2, 133-151.
- Le VINE R. A. : Toward a psychology of populations : the cross-cultural study of personality. Human development, 1966, 9, 1-2, 30-46.
- MALPASS R. : Theory and method in cross-cultural psychology. American psychologist, 1977, 32, 1069-1079.
- MANN L. : Contributions to cross-cultural psychology : an introduction. Australian journal of psychology, 1986, 38, 3, 195-202.
- MASSUCCO COSTA A. : Psychologie soviétique. Paris, Payot, 1977.
- MEHRYAR A. H. : The role of psychology in national development : wishful thinking and reality. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 159-167.
- MIROGLIO A. : La psychologie des peuples. Paris, P. U. F., 1963.
- MOGHADDAM F. M. & TAYLOR D. M. : What constitutes an "appropriate psychology" for the developing world? International journal of psychology, 1986, 21, 2, 253-267.
- MORSBACH H. : An intensive "triangular" study (Japan-USA-Europe) of socio-psychological variables. Annals of the New York academy of sciences, 1977, 285, 221-226.
- MUELLER F-L. : Histoire de la psychologie. Paris, Payot, 1968.
- MUNROE R. H. ; MUNROE R. L. & WHITING B. (eds) : Handbook of cross-cultural human development. New York, Garland STPM, 1981.
- NUTTIN J. : La motivation. In Fraisse P. & Piaget J. : Traité de psychologie expérimentale. (Vol. V). Paris, PUF, 1963. pp. 6-96.
- PIAGET J. : Nécessité et signification des recherches comparatives en psychologie génétique. Journal international de psychologie, 1966, 1, 1, 3-13.
- PICHOT P. : Les tests mentaux. Paris, P.U.F, 1954
- POORTINGA Y. H. & BERRY J. W. (Eds) : Cross-cultural comparison of psychological data : issues and pitfalls. International journal of psychology, 1989, 24, 6, 661-756.
- PRICE-WILLIAMS D. R. : Cross-cultural studies. Harmondsworth, Penguin books, 1969.
- RETSCHITZKY J. ; BOSSEL-LAGOS M. & DASEN P. (Eds): La recherche interculturelle (2 tomes). Paris, L'Harmattan, 1989.
- REUCHLIN M. : Histoire de la psychologie. Paris, P. U. F., 1961

- REUCHLIN M. : La psychologie différentielle. Paris, P. U. F., 1969.
- ROHNER R. P. : Why cross-cultural research? Annals of the New York academy of sciences, 1977, 285, 3-12.
- ROKKAN S. : Recherche trans-culturelle, trans-sociétale et trans-nationale. In UNESCO Tendances principales de la recherche dans les sciences sociales et humaines. (Première partie : Sciences sociales). Paris, Unesco, 1970, pp. 765-821.
- SALAZAR J. M. : The use and impact of psychology in Venezuela : two examples. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 113-122.
- SANDERS J. L. & BRIZZOLARA M. S. : Connotative meaning of time among egyptian and american students. The journal of social psychology, 1986, 125, 5, 587-590.
-
- SCHWENDLER W. : UNESCO's project on the exchange of knowledge for endogenous development. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 3-15.
- SEGALL M. : Culture and behaviour. Psychology in global perspective. Annual review of psychology, 1986, 37, 523-564.
- SEGALL M. ; DASEN P. ; BERRY J. & POORTINGA Y. : Human behavior in global perspective. An introduction to cross-cultural psychology. New York, Pergamon Press, 1990.
- SHERWOOD E. T. : On the designing of TAT pictures, with special reference to a set for an African people assimilating western culture. The journal of social psychology, 1957, 45, 2, 161-190.
- SINGER M. : A survey of culture and personality theory and research. In Kaplan B. : Studying personality cross-culturally. 1961 (voir ci-dessus), pp. 9-90.
- SINHA D. : Psychology in the context of Third World development. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2, 17-29.
- SINHA D. & HOLTZMAN W. H. (eds) : The impact of psychology on Third World development. International journal of psychology, 1984, 19, 1/2.
- TAJFEL H. : Second thoughts about cross-cultural research and international relations. International journal of psychology, 1968, 3, 3, 213-219.
- TEDESHI J. T. ; CHRISTIANSEN P. ; HORAI J. & GAHAGAN J. P. : Mythological ethnocentrism as a determinant of international attitudes. The journal of social psychology, 1970, 80, 113-114.
- TRIANDIS H. C. : Introduction to handbook of cross-cultural psychology. In Triandis H. & Lambert W. : Handbook of cross-cultural psychology. Vol. 1. (voir ci-dessous), pp. 1-14.

- TRIANDIS H. C. & BRISLIN R. W. : Cross-cultural psychology. American psychologist, 1984, 39, 1006-1016.
- TRIANDIS H. C. ; DAVIDSON A. R. & MALPASS R. S. : Psychology and culture. Annual review of psychology, 1973, 24, 355-378.
- TRIANDIS H. C. ; LAMBERT W. W. ; BERRY J. ; LONNER W. ; HERON A. ; BRISLIN R. & DRAGUNS J. (eds) : Handbook of cross-cultural psychology. (6 volumes). Boston, Allyn and Bacon, 1980-1981.
- UNESCO : Regard sur l'Unesco. Paris, Unesco, 1973.
- VASQUEZ A. : Les implications idéologiques du concept d'acculturation. Cahiers de sociologie économique et culturelle (Ethnopsychologie), 1984, n°1, 83-121.
- WEBER E. : Maghreb arabe et Occident français. Toulouse, Service des publications de l'Université de Toulouse-le-Mirail, 1985.
- WHITING J. W. M. : Methods and problems in cross-cultural research. In Lindzey G. et Aronson E. (eds) : Handbook of social psychology. Reading, Mass. ; Addison-Wesley ; 1968. Vol. 2, pp. 693-728.
- WHITING J. W. M. & CHILD I. L. : Child training and personality : a cross-cultural study. New Haven, London ; Yale university press ; 1953 (2e edition 1962).
- WITKIN H. A. : A cognitive style approach to cross-cultural research. International journal of psychology, 1967, 2, 4, 233-250. (Réédité in Berry & Dasen 1974 sous le titre : Cognitive styles across cultures. pp. 99-117).
- ZEMPLENI A. : Milieu africain et développement. In Milieu et développement. (Symposium de l'Association de psychologie scientifique de langue française 1970). Paris, PUF, 1972, pp. 151-213.

الكتاب الإلكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية: العدد 27



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2013

د. عبد الناصر السباعي

- الاختصاص: علم النفس
- الشهادة : دكتوراه الدولة في الآداب
- الاهتمامات العلمية: علم النفس عبر الثقافات - علم النفس التربوي - تأصيل علم النفس - الزمن - التربية الإسلامية - علم النفس الديني - الفكر الإسلامي



- الوظائف والمسؤوليات :
 - أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهراز، فاس، المغرب.
 - منسق الإجازة الأساسية في علم النفس (2005 - 2007).
 - منسق الإجازة المهنية في علم النفس "المربي المتخصص" (2007 - 2012)
 - عضو منتخب في حظيرة اللجنة العلمية (2008 - 2011)
 - منسق مسلك الماستر "علم النفس الإكلينيكي" (2010 - 2012)

المؤلفات :

- *9 منار التربية الإسلامية (بالاشتراك): كتاب التلميز للسنة الثانية باك من التعليم الثانوي التأهيلي. الدار البيضاء، طوب إديسيون، سنة 2008 م.
- *8 منار التربية الإسلامية (بالاشتراك): كتاب التلميز للسنة الأولى باك من التعليم الثانوي التأهيلي. الدار البيضاء، طوب إديسيون، سنة 2008 م.
- *7 علم النفس عبر الثقافات. منشورات جامعة سيدج محمد بن عبد الله، سلسلة الرسائل والأطروحات الجامعية. فاس، مطبعة الأفق، سنة 2006 م.
- *6 النجاح في المواد الإسلامية (بالاشتراك): دليل الأستاذ للسنة الأولى من التعليم الابتدائي الأصيل. الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، سنة 2005 م.
- *5 منار التربية الإسلامية (بالاشتراك): كتاب التلميز للذويع المشتركة من التعليم الثانوي التأهيلي. الدار البيضاء، طوب إديسيون - سنة 2005 م.
- *4 منار التربية الإسلامية (بالاشتراك): دليل الأستاذ للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي. الدار البيضاء، طوب إديسيون، سنة 2005 م.
- *3 منار التربية الإسلامية (بالاشتراك): كتاب التلميز للسنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي. الدار البيضاء، طوب إديسيون، سنة 2005 م.
- 2- Critique de la psychologie interculturelle. Fès, Imp. Info-Print, 2005.
- *1 مدخل إلى الدراسات السلوكية - فاس، مطبعة أنفو برانت، سنة 2004 م

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2013

نحو مجازة عربية في علم النفس

